الفهرس

ثمن العدد ٢ قرشان صاغاً

الثقافة

AL-THAQAFA

صاحب الامتياز الدكتور أحمد أمين بك | الإدارة | رئيس التحرير المسئول محمد عبد الواحد خلاف بك

١٤ شارع سعد زغلول ، القاهرة ، تليفون ٤٢٩٩٢ — ٥٦٧٦٩

العدد ٥٨٨ — الاثنين ١٥ من جمادى الآخرة سنة ١٣٦٩ — ٣ من أبريل سنة ١٩٥٠ — السنة الثانية عشرة

حيـــاد الشرق

للدكتور أحمد أمين بك

عاد العالم من جديد يستعد للحرب ، ويتأهب للقتال ، وانقسم العالم إلى معسكرين : تتزعم أحدهما أمريكا ، وتتزعم الآخر روسيا ، وتبذل كل زعيمة جهدها لتضم ما تستطيع من الدول الصغرى إليها ، وتساعدها بالمال والعتاد ، وتدرس كل أمة تقريباً خطتها إذا قامت الحرب القادمة ، وتعلم كل زعيمة من سيكون معها ، ومن سيكون عليها ؛ فما شأن الشرق وما موقفه وما يجب أن يكون عليه ؟ أسئلة تتردد وتتردد ، وأرى أنها لم تبحث البحث الكافي ، ولم يضع قادة الشرق خطتهم النهائية في الإجابة عنها .

وقد سمعنا بعض القادة أمثال لال نهرو وأحمد خان ، يرددون فكرة الحياد .

ومعنى الحياد أنه إذا قامت حرب بين روسيا وأمريكا لم ينحز الشرق إلى أحد المعسكرين وبقي بعيداً عن القتال ، وهي فكرة بديعة شائقة لو أمكن تحقيقها ؛ فلو وقع قتال بين أمريكا وأتباعها ، وبين روسيا وأتباعها ، وظل الشرق بعيداً عن هذا القتال ، لاستفاد فائدة كبرى ، إذ يستطيع في هذه الفترة أن ينظم شئونه وينمي موارده الاقتصادية ويحسن شئونه الاجتماعية ، ويتجنب ما تقتضيه الحرب من خراب في الأنفس والأموال ؛ فالحرب القادمة ستضعف الغالب والمغلوب ، وتلحق بهما الخراب المالي والنفسي والاقتصادي والاجتماعي ؛ فإذا سلم الشرق من ذلك كله استطاع أن يكون نهضته ويكمل استقلاله ويخرج من هذه الأزمة سليماً معافى ، وينتهز هذه الفرصة فيسترد ما فاته ويسرع في السير بين الأمم ، حتى إذا انتهت الحرب كان في مستوى لا يقل كثيراً عن مستوى الغرب ، ويكون في حالة خير من حالته ، ويمشي مع الباقين ويسترد اعتباره ومكانته ، ويكون قوة في العالم يعتد بها . ثم هو في تقريره هذا الحياد سليم التفكير قوي المنطق ، لأنه لا فائدة له من هذه الحرب ؛ لا يريد فتحاً ولا غزواً ، ولا يريد غنيمة ولا كسباً . وكل من المعسكرين يريد السيطرة على العالم والشرق لا يريد سيطرة . وكل يريد إذلال خصمه والتنكيل به ، وأن تكون له العليا ولخصمه السفلى ، والشرق لا يريد شيئاً من ذلك . وهو إذا دخل الحرب كان ذيلاً لا رأساً ، وكان خادماً ذليلاً لا سيداً كريماً ، ففيم حربه ؟

ولكن يأتي السؤال الآخر وهو : هل هذا في الإمكان ؟ هل تتركه الحوادث يقرر مصيره ويختار سياسته ويرسم خطته ؟ أو أن الحوادث ستضطره إلى السير في جهة معينة

ولو لم يرضها ، فترغمه على أن ينضم إلى أحد المعسكرين كرهاً ؟ .

لو نظرنا إلى الحرب الماضية وجدنا الحالتين قد حدثتا فعلاً ؛ فهولندة مثلاً شاءت السلام فأرغمت على القتال واكتسحت بلادها رغم أنفها ، وسويسرة مثلاً شاءت السلام فاحترمت إرادتها وخرجت من الحرب سليمة مستفيدة من ويلات المحاربين وخرابهم وبؤسهم وفقرهم ، وعلا شأنها مالياً وأدبياً ، فلِمَ كانت هذه التفرقة ؟ .

يظهر أن الحياد ممكن لسبب من سببين . أولهما : أن يكون لدى المحايد من قوة السلاح والعتاد والجيوش البرية والبحرية والجوية ما يضطر كلا المعسكرين أن يحترم هذا الحياد ليأمن جانبه وليتجنب إثارة عدو جديد ذى قوة ومنعة . والثانى : أن يرى المعسكران المتحاربان جميعاً أنهما يستفيدان من حياد المحايد أكثر مما يستفيدان من قتاله . ولعل السبب الثانى هو الذى أنقذ سويسرة من الحرب الأخيرة ، وجعل الفريقين المتحاربين يحافظان على حيادها . فلننظر فى ضوء هذا إلى الشرق ، هل لدى البلاد العربية ما يجعل المعسكرين يخشيان بأسه فيقرران حياده ؟ لا أظن أن ذلك موجود ؛ فقواته الحربية لا تستطيع أن تقف طويلاً أمام القوات الروسية أو الأمريكية إذا أراد كلٌّ منهما أن يستولى عليه . نعم إن له من القوة ما يستطيع بها أن يؤخر الزحف أياماً ، ولكن النتيجة معروفة بينة .

وأما السبب الثانى فلست أرى أن للفريقين المتحاربين من الفائدة ما يجعلهما يحتفظان بحياده ، بل العكس فإن ما فيه من آبار البترول وهو المادة الأولى للحروب وما فيه من خامات ترجح كفة من استولى عليها ما يغلب الظن بأن كلا المعسكرين سوف لا يحترم هذا الحياد ، وأنهما سيتسابقان فى الاستيلاء عليه ، ثم يكون ميداناً فسيحاً قاسياً لحركات المد والجزر .

بل احتمال ثالث ، وهو أن يعقد الشرق معاهدات مع المعسكرين أعنى بين روسيا وأمريكا أساسها احترام الحياد وعدم التعدى ، ولكن يأتى سؤال آخر ، وهو : هل لهذه المعاهدات قيمة فى هذه الأيام ؟ وهل إذا ظهر فى المستقبل لأحد المعسكرين أن مصلحته فى خرق المعاهدة ، وقف عند المعاهدة واحترمها ، أو انتهكها وضرب بها عرض الحائط ؟ .

ثم هل كل دول الشرق حرة فى تصرفها ، تملك زمام أمرها ، وتدرس مسائلها من غير أى احتكار ، وتقرر ما ينفعها وما يضرها من غير تدخل ؟ أو أن بعض دول الشرق مغلوبة على أمرها ملزمة بمعاهدات أو نحوها أن تنضم إلى أحد المعسكرين فى الحرب ، وحينئذ لا يمكن أن يكون الشرق كله كتلة واحدة ولا يمكن أن تكون له خطة مرسومة واحدة ، فتضيع فكرة تكتل الشرق كله فى الحياد ، وهذا التكتل هو الذى يجعل للحياد قيمة ، وبدونه لا قيمة له .

هذه كلها مسائل يحق للسياسيين أن يطيلوا التفكير فيها وللعالمين أن يحترموها ، ويثيروا الرأى العام بنتائجهم فيها ، فذلك أنفع من كثير مما يكتب .

أحمد أمين

بين سورية ولبنـــــان

للأستاذ شكري فيصل

اتخذت العلاقات بين سورية ولبنان في هذه الفترة الأخيرة شكلاً معقداً ، وتوالت المذكرات بين البلدين ، وانتهت إلى القطيعة الاقتصادية وإقامة الحواجز الجمركية .. فما هو وجه هذه الأزمة التي نشأت بين بلدين شقيقين يعدهما الرأي العام العالمي والعربي أقرب إلى البلد الواحد في التماثل والتكامل والوحدة ؟.

إننا لن نرجع بعيداً إلى الوراء حين كانت بلاد الشام وحدة واحدة مقسمة إلى ولايات تقسيماً إدارياً عهد الأتراك العثمانيين .. وإنما حسبنا أن نذكر أن سورية ولبنان كانا عهد الانتداب الفرنسي ، يخضعان إلى سياسة اقتصادية ترسمها فرنسا ، يشخص المندوب السامي ، وتنفذها حكومتا دمشق وبيروت .

وكانت هذه السياسة تحوم على نوع من التوازن ، وكانت لها أهدافها الكبرى في إقرار الاقتصاد الفرنسي ، واستنزاف الثروة الوطنية ، وعرقلة التقدم الزراعي والصناعي ، والعمل على الانحدار بالحياة الاقتصادية إلى مستوى الكفاف .

وقد انتهت هذه الفترة بكل شرورها حين جلت الجيوش الأجنبية عن البلدين ونعما باستقلال كامل لا تحده معاهدات ولا اتفاقات ولا قيود .

ونظرت سورية ولبنان فوجدتا أنهما يؤلفان وحدة واحدة من كل وجه ؛ وأنه إن كان هنالك ما يحول بين الوحدة السياسية وبين أن تتم ، فإن من الخير التمكين لكل مظاهر الوحدة الأخرى ، تدعيماً لأخوة البلدين وتمهيداً لمستقبل فاضل سعيد يطوي كل عوامل الفرقة المصطنعة وينتهي إلى أخوة كاملة وتماسك تام .

ومن أجل هذه الغاية الكريمة لم يرتض السوريون واللبنانيون ، بعد الاستقلال السياسي ، أي مظهر من مظاهر الانفصال الاقتصادي ، فأبقوا على نظام المصالح المشتركة بينهما ، ونظموا المجلس الأعلى لهذه المصالح ، وعقدوا اتفاقاً لوحظت فيه الحاجة السريعة إلى الاستقرار أكثر مما لوحظت فيه الدراسة العميقة للوضع الاقتصادي ، وهو الاتفاق المعروف باتفاقية شتورة : هذه البلدة الصغيرة الأنيقة التي تعيش قريباً من حدود البلدين وتشهد اجتماعات ومحاولات لا تنتهي .. وقد وقع الاتفاق في مطلع الشهر العاشر من عام ٤٣ ، وكانت مدته سنتين ، وفي خلاله مضى البلدان في وحدة التشريع الجمركي .

• • •

وسارت العلاقات في هدوء لم يخل من اضطراب ، وفي صفاء لم يخل من كدر ، غير أن الغاية البعيدة التي يستشرفها السوريون واللبنانيون ، أو التي يجب أن يستشرفوها ، والظروف السياسية التي كانت ترافق الأوضاع السياسية ، كل ذلك كان يكبت مظاهر الاضطراب ، ويستر عوامل الكدر ، وإن كان لا يعالجها ولا يقضي عليها .

واستمر الأمر كذلك تسويفاً للمشاكل وبعداً عنها حيناً ، ورغبة عن حلها حلاً سليماً حيناً آخر ، حتى أوشك الداء أن يفصل اتصالات البلدين في حدود التدهور والإفلاس ..

والسبب الرئيسي في ذلك يرجع إلى هذه الحقيقة الكبيرة ، وهي أن الصلات الاقتصادية بين سورية ولبنان كانت تتمثل في « وحدة في الجمارك واختلاف في التشريع » يعني أن هناك إلزاماً من نحو واختلافاً من نحو آخر ، قيداً في التعرفة الجمركية من جهة وانطلاقاً كبيراً في التشريع من جهة أخرى .

ولكن لماذا لا يكون هناك تشريع واحد بين البلدين؟.. أعني لماذا لا يخضع البلدان لتشريع مشترك في النواحي الاقتصادية ؟ .

هذا منبع الخلاف .. وهو خلاف يرجع إلى طبيعة الاقتصاد القومي في كلٍّ من سورية ولبنان .

فسورية بلد زراعي صناعي تفيض محصولاته الزراعية عن حاجته ، وتنهض فيه صناعات عريقة وصناعات حديثة ، ويجتمع أهله على هذا الإنتاج القومي بالمعاضدة والتأييد والبذل .. ثم هو بلد تجاري لأنه يحتاج إلى تصدير ما يفيض عنه من غلاته أو صناعاته .. ولذلك فإن من مصلحة السوريين الحد من كل استيراد أجنبي ، وتقييده بالاستيراد المنتج ، أي بالآلات الزراعية والصناعية ، وتنشيط التصدير للحصول على العملات النادرة لتقوية الجيش بعد ذلك ، والعمل على كل ما من شأنه تحصين المشاريع الصناعية والزراعية والوطنية .. وبتعبير آخر : تريد سورية أن تقف من حركة التجارة في الصادرات والواردات موقفاً موجّهاً قائماً على الحماية والتشجيع وحفظ ثروة البلاد .

هذا على حين أن الموقف في لبنان يختلف اختلافاً عميقاً .. فهو لا يزرع كفايته إلا من الفواكه (الحمضيات بوجه خاص) ، وإنتاجه لا يسمو إلى التصدير ، وهو ليس بلداً صناعياً ، لأن الصناعات فيه صناعات ... والاقتصاد القومي يقوم على ما تسببه الواردات ... السورية ، أعني الاصطياف والإشتاء ، وموارد المهاجرين وما إلى ذلك .. ولهذا فإن من مصلحة اللبنانيين أن يفتحوا أبواب الاستيراد على مصارعها ، يستفيدون من هذه الحركة ، من حيث هي حركة في ذاتها ، دون النظر إلى ما يكون وراءها من أضرار تلحق الزراعة والصناعة في سورية ولبنان معاً .

ومن هنا ، من هذا الاختلاف في طبيعة اقتصاد البلدين ومن وضع المصالح المشتركة التي تقيد المرونة والحركة ، وتبيح اختلاف التشريع ، كانت الأزمة الاقتصادية التي جرّت إلى أزمة العلاقات .

• • •

مراحل الخلاف :

في السنتين الأوليين اللتين أعقبتا اتفاق شتورة (٤٣ — ٤٥) وهما سنتا الحرب الأخيرتان ، كان يخضع البلدان للظروف الاقتصادية التي تخضع لها الشرق الأوسط ، وكانت قيود التجارة الخارجية وضعف الإنتاج العالمي لا تدع مجالاً للاستيراد والتصدير المطلق ، ولذلك لم تكن هناك في علاقات سورية ولبنان شكوى كبيرة .

غير أنه في السنتين التاليتين اللتين أعقبتا الحرب (٤٥ — ٤٧) بدأت شكوى السوريين ، كانت أول الأمر همساً لأن القيود العالمية لم تكن كسرت بعد ، ثم انطلقت بعد ذلك شكايات حديثاً ، وامتدت شكايات لفظاً ، واشتد اللفظ حتى كان شكوى وعتاباً .. وكان كل نمو في الإنتاج العالمي والتجارة الخارجية الدولية واكتساح الأسواق الضعيفة أمام الأسواق القوية ، يقابله من حيث العلاقات بين سورية ولبنان اتساع شقة الخلاف وتدهور الثروة والحاجة الملحة إلى معالجة سريعة .

وفي خلال ذلك كانت اتفاقية شتورة لا تزال ترعى علاقات البلدين الشقيقين . وكانت هذه العلاقات تتعثر فيداري المسؤولون هذا التعثر مداراة ، وتتأزم فيطلقون الأزمة ... ، ويصحون عن أعينهم — تحت ضغط الشكوى الكثيرة — المأوية البعيدة .

... أيضاً ، وفي عام ٤٧ بوجه خاص ، كانت ... والبضائع التافهة تغرق الأسواق السورية اللبنانية ... كانت قد امتصت النقد الزائد ، فلم يكن هناك قدرة شرائية تقابلها ، وكانت تجثم فوق صدر الصناعات الوطنية كالكابوس فلا تقدر على مقاومتها ، وكانت أوضاع البلاد المجاورة في فلسطين والأردن والعراق لا تسمح كذلك — بعد أن تبخرت أرباح الحرب الكاذبة — أن تتقبل هذه البضائع في أسواقها .

وكذلك يبدو أن إطلاق الاستيراد في هذه السنين عاد بأبشع النتائج .. كان استيراداً هزيلاً في نوعه (لا يعدو أدوات الزينة والترف) وكان ضخماً في كمه (لا يتوازن بحال مع الصادر) وكان عظيم الأثر في نتائجه لأنه جعل اقتصاديات البلدين على شفا جرف هار .

ولقد عقدت لمعالجة هذه الحالة عدة اجتماعات ومؤتمرات ، غير أن المواقف السياسية كانت تتغلب على المعالجة الموضوعية ، ودلائل فكرة الوحدة التي يسعى لها السوريون كانت تخفف من حدة الضربات التي يعانونها ، ولم تنجح وساطات كثيرة

إلا في النهاية .. بل إن الصحف السورية كانت تزعم أن جزءاً كبيراً من الاتفاقات التي كانت تعقد بين الوزراء السوريين كانت لا تنفذ بدقة في لبنان فيتأزم الأمر وتتجدد الأزمات ... وقد أوشكت الحكومة اللبنانية ذات مرة في أخريات عهد فخامة الرئيس الخوري أن توافق على الحد من الاستيراد وأن تتقيد بالنافع والضروري والمنتج ، غير أن التجار اللبنانيين قاموا مرة واحدة يحاربون هذا الاتجاه ، فأمسكت السياسة اللبنانية عن السير في الطريق السوي .

* * *

وإلى هنا كان القلق الذي يسود العلاقات السورية اللبنانية محتملاً ، وكان الأمر هيناً ، ولكن كان هنالك بقية من القدرة على احتماله ، غير أنه في آخر عام ٤٧ وأوائل عام ٤٨ نشأت أزمة النقد السوري اللبناني وعلاقته بالنقد الفرنسي ، وهي أزمة لا نستطيع تفصيلها هنا .. وحسبنا أن نقول إن مفاوضات قامت بين سورية ولبنان من نحو وفرنسا من نحو آخر لتسوية أمور النقد ، بدأت في أكتوبر ٤٧ واستمرت أربعة أشهر ، غير أنها لم تنته كما بدأت لبنان وسورية في طرف ، وفرنسا في طرف آخر ، وإنما انتهت الاتفاقية بين لبنان وفرنسا فحسب ، وبقيت سورية وحدها تعارض هذا الاتفاق وتحاول أن لا تنحني له ، وجهدت في ذلك عاماً كاملاً في ظروف الحرب ، ثم لم يكن بد ، وقد افترقت ، من أن تضطر لقبول عقد الاتفاق مع فرنسا ، وكان لا بد لهذا الاتفاق أن يكون مماثلاً لاتفاق لبنان .

ويقول السوريون إن لبنان تخلى عنهم ولم يقف موقف المقاومة التي كانت جديرة أن تنتهي إلى كسب أكبر ، ويقول اللبنانيون إن هذا الاتفاق ، بالرغم من قيوده الثقيلة التي تشبه الإتاوة إلى عشر سنوات ، يحقق المصلحة .. ولكن مهما يكن من شأن هذه الأقوال فإن الذي لا شك فيه أن قصة النقد انتهت بالنسبة إلى سورية بكارثة عادت عليها بأضرار فادحة تتجاوز عشرات الملايين ، وانتهت بالنسبة إلى العلاقات الاقتصادية بازدياد التوتر واختلال التوازن بين المصالح التي يجب أن تكون مشتركة ، كما انتهت بالنسبة إلى التجاري السوري واللبناني — وكانا نقداً واحداً — بالانفصال .

وكذلك شهدنا أول انفصال فعلي بين البلدين من جراء اتفاقية النقد اللبنانية الفرنسية .

* * *

لم يكن بد إذاً أمام هذا الوضع الاقتصادي الرتيب ، وهذه القطيعة في النقد ، وهذا الإطلاق للاستيراد ، من معالجة حازمة ، فقد بلغت الشكوى أشدها ، وكان نداء السوريين دائماً : كفوا عن الاستيراد ! ومن الطريف أن شعار النشرة الاقتصادية لغرفة تجارة دمشق مدى أشهر طويلة كان صور مجموعة من الكماليات تعلوها هذه الجملة : كفوا عن المستوردات الكمالية .

غير أن ظروف عام ٤٨ لم تساعد على هذه المعالجة بحكم الوضع في فلسطين ، وبحكم أشياء أخرى ترجع دائماً إلى الرغبة في الإبقاء على وحدة البلدين ، وفي معارضة الاتجاهات السياسية الخارجية التي كانت تحب أن تفيد من هذه الثغرة الاقتصادية .

وكذلك لم تساعد ظروف عام ٤٩ على هذه المعالجة بحكم الانقلابات الثلاثة السورية — وهي انقلابات ساعد الوضع الاقتصادي السيء على تقبلها — فكان السوريون مضطرين إلى تمديد الاتفاقية شهورة دائماً . وحدث أن مددت منذ أول عام ٤٨ أربع مرات (ثلاثة أشهر ثم شهراً ونصف شهر ثم شهراً ونصفاً ثم ثلاثة أشهر ...) .

وبالرغم من الظروف السياسية الداخلية والخارجية كان الرأي العام السوري واللبناني على السواء ، لا ينفك يتحدث ويأمر بحل هذه الأزمة الاقتصادية التي اتخذت شكل ضائقة حادة ، وعقدت جمعيات التجار وغرف التجارة والصناعة والنوادي المثقفة كثيراً من الاجتماعات في هذا السبيل دون أن ينتهي ذلك إلى حل إيجابي ، وإن كانت هذه الاجتماعات والأحاديث قد تبلورت في فكرتين : فكرة الوحدة الاقتصادية الكاملة أو الانفصال الكامل .

* * *

وقد كان من آخر المعالجات أن وجهت سورية مذكرة

إلى لبنان في حزيران ٤٩، سرعت في تصفية العلاقة الاقتصادية وأرفقتها بثلاثة مشروعات تنطبق على الموقف، وهي مشروعات مدروسة جاهزة: أحدها يقوم على الوحدة التامة بين البلدين، والثاني يقوم على نظام التبادل الحر، والثالث يقوم على إصلاح نظام المصالح المشتركة.

وقد جاء في مقدمة المذكرة السورية التي لم تنشر في لبنان إلا بعد حين ما يأتي: «إن جميع الحلول لم تكن مبنية على أسس مادية ولا يبررها سوى حرص الحكومة السورية على استمرار التعاون وأملها بالوصول إلى توثيقه».

وجاء في ملخص أسباب الخلاف: «إن أسباب الخلاف الأساسية ناشئة عن رغبة سورية في الحد من الاستيراد ضمن منهاج موحد، يهدف إلى إيجاد توازن صحيح في ميزان المدفوعات، وإلى حماية إنتاج البلدين الصناعي والزراعي، والمحافظة على ثروتهما، ويقابلها في لبنان سياسة الاستيراد الحر حتى للمواد الكمالية لتوسيع أفق التجارة في لبنان واتخاذ سورية سوقاً حراً لها، وقد أراد هذا الخلاف توسيع الصناعات المحلية وازدياد الإنتاج الزراعي و[illegible] معه الرساميل معرضة للخطر، كما أدى إلى [illegible] تعتبرها الحكومة السورية مشتركة بالخلاف».

***

ليس غريباً بعد هذا كله أن نستمع في الأنباء البرقية الأخيرة عام ١٩٥٠ إلى نهاية هذه القصة التي بدأت عام ٤٣. وكانت مكنونة قبل ذلك في حضانة الحكم الفرنسي... بل أضحى من الطبيعي، بعد هذه الأزمة الخانقة التي يمر بها الشقيقان ويكتوي بها أفراد البلدين، أن يبادر المسؤولون إلى كل ما يقف بالأزمة عند هذه النهاية التي وصلت إليها قبل أن تأتي على البقية الباقية من الثروة القومية هنا وهناك.

وفي سبيل ذلك قدمت سورية مذكرتها الأخيرة في العاشر من آذار تعرض الوحدة الاقتصادية المتكاملة أو الانفصال التام، واستبعاداً للتسويف وسياسة المناقشات، والبطء والتردد التي كانت تزيد الأزمة استحكاماً، حددت سورية عشرة أيام للإجابة على هذه المذكرة.

غير أن الحوادث تتلاحق بسرعة، وترد الحكومة اللبنانية قبل انتهاء الأيام العشرة تريد فتح باب المناقشة دون اعتماد فكرة معينة، وهو الأمر الذي أراد السوريون تجنبه. فكان من هذا الانفصال الجمركي الأخير.. كان نتيجة طبيعية لأزمة طويلة استمر الجدل البيزنطي فيها يهدد الاقتصاد القومي ويشله.

***

إن تصريحات المسؤولين السوريين تريد أن تعتبر الحادث عادياً محلياً، وتصريحات الرجال المسؤولين اللبنانيين تريد أن تضفي على الحادث ثوباً عربياً لتوسط الجامعة العربية.

والاتجاه السوري إلى أن الوضع الحالي كفيل أن يودي بثروة البلدين معاً، والاتجاه اللبناني إلى أن سورية لا ينبغي أن تنظر إلى الموضوع نظرة رقمية، بل يجب أن ترى ما وراء الأرقام من مصالح سياسية وقومية.

ويبدو أن الأزمة [illegible] تغذوها خوف لبنان من مشروع مياه اللاذقية أن يحل محل مياه بيروت، وخوف سورية من [illegible] الشركات القائمة — بكثير من التدابير [illegible].

[illegible] هل ينتهي هذا الانفصال الجمركي إلى غايته، أم يكون هناك حل بواسطة الجامعة العربية؟ وهل بقي عند سورية ما يساعدها على أن لا تنظر نظراً رقمياً؟ وهل يشاركها لبنان في مراعاة النواحي القومية؟

هل هناك نية طيبة وعمل حازم لتنفيذ أي اتفاق مقبل، أم قد نكرر مأساة النقد والتصدير إلى بعض بلدان البحر المتوسط؟

هل يستطيع البلدان أن ينظرا نظرة واسعة مرنة، فيتجنبا محنة هذا الانفصال وأضراره على البلدين معاً؟

وأخيراً نتساءل: هل يصح للبلاد العربية التي تعيش إسرائيل في قلبها كالسرطان أن تسير باقتصاد مطلق أم باقتصاد موجه؟

ذلك ما ستتمخض عنه الأيام القريبة.

(القاهرة) شكري فيصل

مدام دى ستايل وموقفها من نابليون

للأستاذ على أدهم

من أهم نتائج الثورة الفرنسية وأبقى آثارها أنها أيقظت الشعور الوطنى، ونبهت الوعى القومى، وبدأت فى أوربا عهد الحركات القومية والتطلع إلى الحرية والمساواة والحكم النيابى، ولم تؤثر هذه الاتجاهات الجديدة فى العلاقات السياسية بين الأمم المختلفة فحسب، وإنما أثرت كذلك فى الصلات الثقافية والروابط الأدبية والتبادل الفكرى؛ ولقد كانت الصلات الثقافية قبل عهد الثورة الفرنسية مجرد تبادل أفكار بين أفراد من بلاد مختلفة وأرجاء نائية، ولكنهم مع ذلك تجمعهم رابطة واحدة، وتنظمهم عقد الأدب، وتؤلف بينهم جمهورية التفكير؛ أما بعد عهد الثورة، فإن هذا التلاقى الفكرى أصبح مقابلة بين آداب قومية مختلفة اللون متباينة النزع، وقوى الاعتقاد بأن الأدب والفلسفة وسائر مقومات الحياة الثقافية ليست من عمل الأفراد فى عزلتهم الفردية، وإنما هى نتيجة لأحوال البيئة وملابسات العصر والتقاليد القومية؛ وقد تأثر بهذه الفكرة كثيرون من مفكرى القرن الثامن عشر، وكان للكاتبة الفرنسية القديرة الموهوبة مدام دى ستايل أثر كبير فى ترويج هذه الفكرة وإذاعتها والدفاع عنها والمناضلة دونها بما أوتيت من بلاغة أداء وقوة بيان واجتراء على إعلان ما تعتقد أنه الحق والإصرار عليه.

ومدام دى ستايل هى ابنة الوزير الاقتصادى المالى المعروف نيكر الذى اشتهر أمره فى أواخر عهد لويس السادس عشر، وكان معقد آمال الطبقة المتوسطة فى فرنسا، والذى حاول أن يصلح أحوال فرنسا المالية بعد فوات الأوان وتمكن الفساد وتأبيه على جهود المصلحين.

وقد بدأت مدام دى ستايل حياتها الأدبية برسالة عن روسو تناولت فيها كتاباته وأخلاقه، ثم تزوجت إريك مجنس بارون دى ستايل هولستاين، وقد رقى زوجها بعد ذلك إلى منصب وزير السويد المفوض، فنالت بذلك المكانة التى كانت تطمح إليها، وقد كانت مدام دى ستايل على ذكائها المتوقد وعمق تفكيرها وغزارة علمها امرأة مترامية الآمال، حريصة على الشهرة، محبة للظهور، تريد أن تسترعى الأنظار، وتخلب العقول، وتترك فى الدنيا دوياً، وتحدث فيها حدثاً، وتود أن تصبح فى طليعة القادة والزعماء، ولا يأبى عنادها من المفاخرة والمناظرة فى هذا السبيل وتحدى الطغاة والجبابرة المستبدين ولو كان على رأسهم نابليون العظيم!

وقد طوفت مدام دى ستايل فى الآفاق وزارت معظم البلاد الأوربية وألمت بأحوالها وعرفت نظمها والكثير من رجالاتها، وكانت محبة للاستطلاع، بالغة سئولاً، تؤيده العبقرية وسرعة الفهم والإدراك؛ وحبها الشديد للحرية، ومطامعها السياسية، وصراحتها فى إبداء آرائها جعلت نابليون يمقتها ويقاومها ويتابعها بنقمته أينما حلت، وقد كان نابليون بوجه عام سيء الرأى فى النساء، ولعل المرأة الوحيدة التى حازت إعجابه وظفرت بتقديره هى والدته ليتيزيا، وكان لا يرى مساواة المرأة بالرجل ويفضل استعبادها وخضوعها التام للرجل، وقد حاولت المرأة أن تطالب بحقوقها حينما اجتاحت الثورة فرنسا، ولكن بعض المؤرخين يرون أن النساء أظهرن حينذاك حماسة واندفاعاً أكثر مما أظهرن من حكمة وتبصر، وأن هذه الحماسة المسرفة كانت لها آثارها السيئة، وقد أحدث ذلك حركة رجعية ترمى إلى الحد من حرية المرأة؛ وكان لنابليون شيء من العذر فى محاولته إيقاف الحركة النسائية إبقاء على النظام وصيانة للأمن[1]؛ ومن مأثور

(١) راجع صفحة ٢٤ من كتاب «شخصية نابليون» لعلى عبدالعزيز.

أقواله : « لن يكون للنساء تأثير في بلاطي ، وقد يضمرن لي الكراهة ولكني سأظفر بالهدوء والطمأنينة » ، وقد لوحظ أن هذه المعاملة زادت النساء تعلقاً به وإكباراً له ، ولم يشذ عن ذلك سوى بعض النساء القويات الشخصية ، ومنهن مدام دى ستايل .

وقد لاحظت مدام دى ستايل أن نابليون كان يحترم الخصم الذي يواجهه ويثبت له ويقارعه الحجة بالحجة ، وقد كانت حاضرة أمره في سنة ١٧٩٨ حفلاً رائعاً وتخلل اللقاء سيدة سريعة البديهة مفحمة الجواب ، فقد تقدم نابليون من سيدة في الصالون أثار جمالها وذكاؤها الإعجاب وقال لها في صراحة ثورة : « أيتها السيدة إني لا أحب النساء اللواتي يخضن في السياسة » فأجابته قائلة : « إنك على حق أيها القائد ، ولكن في البلاد التي تقطع بها رءوسهن من الطبيعي أن يحاولن تعرف أسباب ذلك » فلم يحر نابليون جواباً .

ومن رأى مدام دى ستايل أن نابليون كان رجلاً تنكله المقاومة الحقة ، وأن الذين صبروا للشدائد والصعاب لم تركلهم في الذنب ، وهي تذهب في ذلك مذهب خليل مطران في قوله من قصيدة « مقتل بزرجمهر » منددا بكسرى :

هم مكنوه فاشتد تمكناً

وهم أرادوا أن يصول فصالا

والواقع أن رأى مدام دى ستايل ينطوي على حكمة بالغة وحق عميق ، فإن المقاومة الثابتة الصابرة تكشف أحسن صفات الرجل القوى الممتاز ، أما الاستسلام والخضوع فإنهما يغريانه بالجموح والإمعان في الطغيان .

وقد حاولت مدام دى ستايل في بدء الأمر أن تستميل نابليون وتستولي عليه بعد انتصاراته في إيطاليا ، ولكنها لم توفق في ذلك ، لأن نابليون بطبيعته كان لا يحب النساء المفكرات ، وبالرغم من ذلك ظلت معجبة به حتى بعد عودته من مصر ، ولكنها وجدت أنها كانت مخدوعة فيه ، ولاحظت أن طبعه الأصيل قد أخذ يتكشف ويظهر خلالاً توطد مركزه واشتد ظله وسالمته الليالي طغى وتجبر ، وتعالى وتكبر ، وأصبح لا يطيق المناقشة ، ولا يحتمل أدنى مخالفة أو معارضة ، حز ذلك في نفسها ، وأثارها ، فبسطت فيه لسانها ، وشنعت عليه ، وصرحت به ، فخاصمها نابليون ، ونصب لها حربه ، ولم تكف هي عن مقاومته بلسانها الطويل ، وقلمها البليغ ، وحججها الناهضة ، وقد كانت مدام دى ستايل معروفة المكانة ذائعة الصيت قبل مخاصمتها لنابليون ، ولكن المعركة التي نشبت بينها وبين نابليون جعلتها من الشخصيات الأوربية العظيمة البارزة التي يشار إليها بالبنان وتتردد ذكرها على كل لسان .

وقد حاولت في كتابها عن إيطاليا المعروف باسم كورين وفي كتابها عن ألمانيا أن تنقل رسالة فرنسا الحرة إلى إيطاليا وألمانيا ، وأن تستنهض همم الإيطاليين ، وتثير عزائم الألمان ، وحاولت أن تسترعى نظر هاتين الأمتين إلى الحياة السياسية ، وطلب الحرية الفردية ، والوحدة القومية ، وحاولت من جانب آخر أن تعرف الفرنسيين بأدب الألمان وفلسفة كانت وفخت وشعر شلر وجيتي ، وقد قدمت للفرنسيين صورة حية مشرقة للأدب الألماني ، قربته إلى نفوسهم ، وأغرتهم بالاطلاع عليه ، والإعجاب به ، وإكباره ، وإجلاله ، والتأثر به ، وقد ظل لهذه الصورة البديعة سحرها الأخاذ حتى كشفت حرب السبعين عما بها من خطأ ومجافاة للواقع ، فألمانيا الحالمة الوادعة الشاعرة التي شاهدتها مدام دى ستايل عن قرب كانت — منذ بدأت مدام دى ستايل تصويرها — قد أخذت تتحول رويداً رويداً إلى ألمانيا الموحدة في المادية المعتزة بقوتها النزاعة إلى الكفاح والعدوان .

ولم تعرض مدام دى ستايل في كتابها لمشكلات ألمانيا السياسية ، ولكن غرضها كان واضحاً ، فقد كانت ترمى إلى إيقاظ الشعور القومى الألمانى ، وتمهيد توحيد الجهود ، وتوحيد الجهود هنا لابد أن يتجه إلى مقاومة فرنسا وتحدي مطامع نابليون ، ولهذا لا نعجب إذا علمنا أن الرقابة التي فرضها نابليون على الآثار الأدبية لم تسمح بظهور الكتاب في فرنسا سنة ١٨١٠ ، فقد كتب لها الوزير المشرف على

الرقابة رسالة مؤدبة رقيقة يقول لها في خلالها : « إن الفرنسيين لم يصل بهم الحال إلى حد أن يلتمسوا المثل والنماذج بين الأقوام الذين تعجب بهم » وصارحها بأن كتابها الأخير — عن ألمانيا — ليس كتاباً فرنسياً ، ولما تم طبع الكتاب في سنة ١٨١٣ قبل معركة ليبزج بأيام قلائل نشرت الخطاب في مقدمة الكتاب ، ودافعت عن نظريتها في القومية ورأت أن اختلاف اللغات والحدود الطبيعية وذكريات التاريخ المشتركة وما إلى ذلك من العوامل تساعد على أن توجد الفرديات العظيمة التي تسمى « أمماً » ، وذهبت إلى أن إخضاع أمة لأمة أخرى من الأمم أمر ضد الطبيعة ، ودافعت عن ألمانيا قائلة : « من يفكر اليوم في إمكان إخضاع أسبانيا أو انجلترا أو فرنسا ؟ ولماذا تكون الحالة مختلفة في ألمانيا ؟ » .

وقد ظلت مدام دي ستايل وفية لفكرة القوميات الحرة ، مؤمنة بإمكان تعاون الأمم الحرة في سبيل الحرية النيابية الدستورية على النمط الانجليزي ، فهي كانت تؤمن بالاستقلال الثقافي والأدبي ، وتؤمن في الوقت نفسه بالتعاون الأممي ، وكانت لا تستريح لهذه الوحدة المتكلفة المصطنعة التي حاول نابليون أن يفرضها فرضاً على الدول الأوربية ، ولما زارت روسيا في سنة ١٨١٢ أعجبت بالكرامة القومية الروسية ، ولم تر أن يتركها الروسيون ويلبسوا الزي الأوربي ، ولم ترض أن يعم القانون النابليوني الأمم المختلفة ، لأنها كانت ترى أن حرية الأمم تستلزم أن تحكم كل أمة نفسها بالأساليب التي تلائمها وتطابق أحوالها الخاصة وعاداتها وتقاليدها ؛ وعندها أن الأمم الحرة يجب عليها أن تجنح للسلم وإلا فقدت حريتها واستقلالها ، والحرية تقوي الأمم وتشد بنيانها ، ولكن الحرية التي تسند الأمم وتشد منها هي الحرية المقترنة بالعدالة والإنصاف ؛ وقد استطاع الفرنسيون في أول عهد الثورة أن يتحدوا لأوربا جميعها في حرب الاستقلال ، وكانوا أقوى من أوربا جميعها بقوة الرأي العام ؛ ومع حضها فرنسا على الاستمساك بأهداب السلم وتحذيرها لها من الانتشاء بخمر النصر والغلبة ، فإنها كانت تقر الحرب الدفاعية ، وتحدثت في كتابها عن ألمانيا بفضل الحماسة وقدرتها على أن تسمو بالناس فوق المصالح الخاصة ، واسترعت النظر إلى عظمة التضحية في سبيل الأغراض النبيلة ، وذكرت الإيطاليين والألمان القادرين على أمرهم أن الاستقلال لهم إذا صدقت وطنيتهم وصحت عزيمتهم .

ولكن الاستقلال لم يكن له قيمة في رأي مدام دي ستايل إلا إذا كان استقلال أفراد أحرار قد احتاطوا لأنفسهم من خطر الطغيان الداخلي ومحاولة سحق الحرية الشخصية والاستقلال الفردي .

وأغرت الانتصارات المتوالية نابليون باحتقار ثقافات الأمم المختلفة ، ووسعت شقة الخلاف بينه وبين انجلترا ، وكانت مدام دي ستايل لا ترى تغلب ثقافة على ثقافة أخرى ، وكان إعجابها بنظام الحكم في انجلترا إعجاباً شديداً ، وقد زادها ذلك ما بينها وبين نابليون فتقاً وعمق الهاوية التي تفصلهما ، وقد ظلت مدام دي ستايل إلى النهاية وهي تحمل [illegible] نابليون رغم الصواعق التي كان يرسلها عليها . وقد زارت في سنة ١٨١٣ الكثيرين من الوزراء والساسة [illegible] وحرضتهم على مقاومة نابليون ، وكانت تفرق بين نابليون وبين فرنسا ؛ فمحاولة إسقاط نابليون كانت في نظرها مسألة أخرى مختلفة كل الاختلاف عن محاربة فرنسا ، بل إن مصلحة فرنسا الحقة تقتضي إبعاد نابليون وإقصاءه عن عرش فرنسا ، وكانت أكثر إخلاصاً لمبادئ الثورة من أن تميل إلى ناحية البوربون ، كما فعل الكاتب الكبير شاتوبريان ، وكانت أخطر جريمة اقترفها نابليون في رأيها هي القضاء على الحرية الجمهورية في فرنسا ، وظل مثلها الأعلى هو الحرية المستنيرة المعتدلة المعقولة أو الحرية التي يتمثلها الكتاب والفلاسفة .

وفي ضوء هذه الأفكار كتبت كتابها عن الثورة الفرنسية ، وذكرت فيه فكرتها عن نابليون وعهده مفصلة معززة بذكرياتها المرة وتجاربها القاسية وفقدانها الغالية القوية ؛ وملخص رأيها في نابليون أنه كان جندياً قبل كل

(البقية على صفحة ١٤)

الوجودية تلقى حتفهـــــا

للأستاذ يحيى هويدى

هذه الفقاعات الفلسفية التى لا تظهر إلا لتختفى ... هذه التيارات السطحية التى هيهات لها أن تمس القاع ، قد عرفها تاريخ الفكر الفلسفى من قديم قبل أن يعرفها أخيراً فى شخص جان بول سارتر وأتباعه من الوجوديين . عرفها فى القرن الماضى فى شخصية فيكتور كوزان الفرنسى ، وعرفها فى القرن الثامن عشر فى شخصية وولف الألمانى . فقد كان هذان المفكران ملء السمع والبصر فى وقت ما ، وكانا يسيطران على الحياة الفكرية والفلسفية فى زمانيهما ، وفتن بهما أتباع كثيرون . حتى إذا ما خلت الإنسانية الواعية إلى نفسها ، واختبرت ما قدمه لها هذان المفكران من آراء ، لم يتكشف لها منهما عن [illegible] وأسقطهما التاريخ من حسابه إلى غير رجعة . ومصير سارتر وأتباعه من الوجوديين لن يختلف فى شىء عن مصير هذين الرجلين . فلن يحفل التاريخ بهم ، وسيسقطهم من حسابه كما أسقط الكثيرين من قبلهم . بل إن مياه المحيط قد أخذت تنحسر فعلاً عن شاطئ الوجوديين منذ عام ١٩٤٧ .

وبعد .. فما هذه الآراء العجيبة التى طلع بها علينا الوجوديون ؟ الوجودية فلسفة عدمية سلبية من ألفها إلى يائها ، تود أولاً وقبل كل شىء ، أن تقتل فينا التفكير وتشل القدرة على استخدام العقل . يقول شستوف وهو أحد الوجوديين فى كتابه عن هيدجر : « يجب أن تتخلى فى نشدانك العقل والمنطق إن أردت لنفسك خلاصاً ، إذ أن الإنسان لا يستطيع أن يحيا بهما » . وعندما سئل جان فاهل — وهو الذى يرجع إليه الفضل فى دخول الوجودية فى فرنسا وفى غزوها الجمعيات الفلسفية والجامعات — عندما سئل : تحت أية طائفة من الفلاسفة نستطيع أن نضع مذهبك ؟ قال : « إنى أفضل أن يُنظر إلىّ على أنى من أتباع برجسون » . وليس ثمة ما يدعو إلى الغرابة فى هذا التصريح ، لأننا نستطيع أن نتعرف على وجه شبه ظاهر يجمع بين مذهب برجسون وبين المذهب الوجودى . فمذهب برجسون ثورة على العقل وقواعده الجامدة ، واعتراف بقيمة الحياة بتيارها المتصل وديمومتها التى لا تنقطع . والمذهب الوجودى قائم كذلك على عدم الاعتراف بالعقل . ولكنه لا ينتهى إلى هذه النتيجة المتفائلة التى انتهى إليها برجسون الذى اعترف بالقيمة الإيجابية [illegible] . أما المذهب الوجودى فيتضمن عدمُ اعترافه بالعقل عدمَ الاعتراف بأى شىء . ولذلك نجده لم ينته إلى شىء ، اللهم إلا إلى ذلك الجزع النفسى الذى يملك على الإنسان حسه ونفسه جميعاً ، وإلى ذلك « الشعور بالقىء أو الغثيان » الذى يسيطر عليه عندما يواجه العالم .

وقد أدت تلك الثورة على العقل ببعض الوجوديين المتحمسين من أمثال كارل ياسبرز وجبريل مارسل إلى الارتماء فى أحضان نزعة دينية ذات مسحة صوفية ، على الرغم من أن هذا يناقض موقف سارتر الملحد من الدين . فنجد ياسبرز يعلن يأسه من العقل قائلاً : « من منا لا يود بعد ذلك أن يتحدث الله إليه كما لو كان يتحدث إلى طفل ، حتى ولو كان هذا على حساب حريته ... إننا جميعاً نود ذلك ما دمنا نجد أنفسنا فى قبضة يده » . وقد تزعم جبريل مارسل الحركة الوجودية الكاثوليكية « أول ما يجب على الوجودية الكاثوليكية أن تفعله ، هو أن تتخلى تماماً عن كل تفكير وعن كل فلسفة » . وقد سار فى ركبه أناس

كثيرون . فنجد مثلاً جابرييل مارسيل يكتب محارباً كل نزعة عقلية وعدداً خصائص الوجودية : « أول ما يجب أن يدين به الشخص الوجودي ، هو أن يبقى على أسرار الدين وألا يسمح بتدخل العقل فيفسدها » .

وقد تأثر المذهب كله بهذه الثورة على العقل . وكان أثر ذلك واضحاً في موضعين : في القصة ومنهج سارتر في كتابتها أولاً ، وفي نظرة الوجودية إلى الحرية ثانياً . فالقصة عند سارتر تتميز بذلك الخليط الهائل من الحوادث ، وذلك الانتقال الفاجئ من فكرة إلى أخرى وعدم سرد الحوادث سرداً منطقياً يخضع للتسلسل العقلي ويدين بقانون المقدمات والنتائج . هذا عن القصة ، أما عن نظرة الوجوديين إلى الحرية ، فهي نظرة فريدة حقاً لا يوافقهم عليها إلا من أصابه مس . فالحر عند سارتر هو ذلك الذي استطاعت الظروف الخارجية أن تشل تفكيره وتوقف أية قدرة له على التأثير فيما يحيط به ، هو ذلك الذي انطوى على نفسه واستطاع أن يحيا في باطنه حياة متجددة متدفقة . وبمعنى آخر ، الحر عند سارتر هو ذلك الذي فقد [illegible] المألوف لهذه الكلمة . ومن ثم ، فقد نظر سارتر إلى فترة الاحتلال الألماني لفرنسا عقب غزو الألمان لها باعتبارها الفترة التي أتاحت للفرنسيين قدراً من الحرية لم يُتح لهم من قبل !!! .

هذه الثورة على العقل وعلى الحرية كما نفهمها وراءها شيء كما يقولون . ولكي نصل إلى هذا الشيء لا بد أن نرجع بذاكرتنا إلى عام ١٩٣٣ . في هذا العام استدعت الحكومة النازية هيدجر — وهو مؤسس الوجودية الحقيقي — لإلقاء محاضرات في جامعة فريبورج . فأخذ يذيع محاضرات في الشباب الألماني مشجعاً إياهم على الانضمام إلى النازية وعلى الخضوع الأعمى الذي لا يسمح بأي تدخل للعقل ، لكل ما عليه عليهم النازية ولكل ما أمر به الفوهرر : « إني أطلب من الطالب أن يتقدم بثبات عسكري صارم إلى الخطر ولا يبالي ، وأن يسير إلى الأمام معرضاً نفسه لكل شيء . . . وأن يأخذ نفسه في صرامة وجد بتوكيد مصير ألمانيا ومستقبلها . وهو ماثل أمامه حالياً متمثلاً مجسماً تجسيماً مشرقاً في شخص هتلر » (من خطبته الافتتاحية التي افتتح بها موسم محاضراته) . ولم يمنعه حماسه هذا للفوهرر من أن يسير على رأس جموع طلبة جامعة فريبورج في صفوف منتظمة ليعلنوا جميعاً تأييدهم المطلق لعاهل ألمانيا ، قائلاً لهم : « إن الفوهرر هو وحده الحقيقة الألمانية الحاضرة والمستقبلة ، وهو قانون ألمانيا الأوحد » . وطبيعي أن يدعو رجل له هذا الاتجاه إلى قتل التفكير ومحاربة الحرية والانطواء على الذات . وطبيعي كذلك أن يدعو مثل هذا الرجل الشباب إلى الخضوع والامتثال ، وأن ينشر فيهم نزعة التشاؤم ، وأن يفهمهم أن الإنسان كائن بائس ، وأن « الشعور بالضيق والجزع » مسيطر عليه ، فلا حيلة له في أن يهرب منه .

وسار سارتر في ركب هيدجر النازي ، حتى نجده يعلن أن الفرنسيين كانوا في عهد الاحتلال الألماني أوفر حرية [illegible] . الحرية عنده قائمة في كتب الحرية ، و[illegible] الألمان بالذات . . . ومن ثم نفهم كذلك تلك الفلسفة التي كان يرددها سارتر ومدام سيمون دي بوفوار معاً في ثورتهما على حركات المقاومة أو حركات التحرير التي نشطت في فرنسا بعد الغزو الألماني لها . فقد ذهبا إلى أن هذه الحركات لا فائدة من ورائها . ويحاول سارتر أن يبرر موقفه هذا تبريراً فلسفياً فيقول : « علام كل هذه الحركات ؟ إنها لن تنتهي إلى شيء . وهل ينتهي أي فعل إنساني إلى شيء ؟ إن كل الأفعال الإنسانية تنتهي إلى لا شيء ! وهي في ذلك متساوية . لأنها تنتهي جميعاً إلى الإخفاق . فليوفر كل مجهوده ، وليصبر على ما قسم له . ولا حاجة إلى حركات المقاومة والتحرير » . ولن يصعب علينا بعد ذلك أن نفهم ما يضمره سارتر في قوله ذاك الفريد في الحرية : إنه يود أن يقول إن الناس جميعاً أحرار فيما بينهم وبين أنفسهم . فليس ثمة ما يدعو بعد ذلك إلى أن يقاتلوا ويطالبوا من أجل الحرية ، وهي شيء هم حاصلون عليه في ذواتهم . وهذا منطق معكوس لا يوافقه عليه

إلا رجل يدعو لكبت الحرية بمعناها المفهوم . وهذا إن جاز في بلد كألمانيا النازية ، فإنه لا يجوز في بلاد الديموقراطيات والحريات ومن بينها فرنسا ومصر .

ولقد فطنت الكنيسة الرسمية في فرنسا أخيراً إلى ما تنطوي عليه الحركة الوجودية الكاثوليكية التي يتزعمها جبريل مارسيل من اتجاهات خطيرة فناصبتها العداء ، إذ وجدت أن هذه الحركة ترمي من وراء ارتمائها في أحضان تلك النزعة الدينية الصوفية التي تصطبغ بها في الظاهر لا إلى مجرد التدين ، بل إلى عداوة الحكم الديموقراطي الذي يقوم أولاً وقبل كل شيء على الحرية وعلى تحكيم العقل في كل شيء .

وهكذا استطعنا أن نفهم شيء هذا المذهب الوجودي ، وإن أعلن على الملأ : أنه لا حياة للوجودية إلا في ظل النازية وما شابهها من أنواع الحكم . أما وقد انتهت النازية إلى غير رجعة ، فقد آن للوجودية كذلك أن تفارقنا . ولن تمضي سنوات معدودات حتى يتلاشى هذا المذهب من أساسه ، وينقضي إلى غير رجعة . إن هذا هو المصير المحتوم لكل تلك الفقاعات الفلسفية التي ما تظهر إلا لتختفي ، وما تطفو على السطح إلا ريثما تعود فتغوص مرة أخرى في اللجة إلى القرار . وعلى كتابنا الأفاضل الذين يتحمسون غاية التحمس للوجودية أن يطامنوا قليلاً من حماسهم ... !!

يحيى الهريدي

مدام دي ستايل

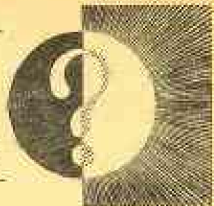
(بقية المنشور على صفحة ١١)

شيء ، فهو لا يحفل بمبادىء الحرب السياسية ، ولقد بدأ القضاء على الثالية الجمهورية في الجيش ، ثم استعان بالجيش للقضاء على هذه الثالية في الدولة ، وهو أنموذج مستوفى لشر الفرد الأناني المجرد من العطف الإنساني والذي يرى الناس ألفاً عدداً وقطعاً في رقعة الشطرنج ، وهو غريب أجنبي بين الفرنسيين ، لا وطن له ولا إيمان ، ولا يسعى إلا لمجد الشخص وعظمته الفردية ، وهو المكيافلي الذي يعد بالسلم ويعمل سراً على إثارة الحرب وتهيئة أسبابها وإعداد معداتها ، وما دامت مقاليد السلطان في يده فهو لا يكف عن الاعتداء وإثارة الحروب ، وليس للدين ولا للأدب من قيمة في رأيه إلا بمقدار ما يساعدانه على إعلاء سلطانه وبسط نفوذه ، فهو الطاغية بعينه الكامنة .

ويرى المؤرخ المعروف جيل في كتابه عن « نابليون ماله وما عليه » أن الكثيرين من المؤرخين الذين نقدوا أعمال نابليون رددوا ما قالته مدام دي ستايل وأعادوه بتفصيلات أوفى وملاحظات أدق وأشمل .

وقليل من النساء أو الرجال من استطاع الثبات للطغاة والجبابرة مثل مدام دي ستايل ، ولا نزاع في أنها قد ضربت للإنسانية مثلاً عالياً في الدفاع عن الحرية والثبات في مواجهة الطغيان .

مي أدهم



كيف

البركليوم - عنصر جديد

للدكتور إبراهيم حلمي عبد الرحمن

تملك جامعة كاليفورنيا في مقرها بمدينة (بركلي) آلة ضخمة لتحطيم الذرات والتلاعب بلبنات المادة ومكوناتها الأساسية، اسمها السيكلوترون أو (الدوار). وقد اخترعت هذه الآلة منذ أكثر من خمسة عشر عاماً، وتوجد الآن بضع عشرات منها في مختلف أنحاء العالم، ولكن أكبرها طراً ما يوجد في كاليفورنيا، حيث صنعت الآلة لأول مرة وعرفت فائدتها وأجريت عليها بحوث كثيرة: [illegible] الطاقة الذرية بالقنبلتين اللتين أسقطتا في هيروشيما ونجازاكي وبثالثة الأثافي التي أطلقت في اليم في بكيني.

وتقدر ضخامة السيكلوترون بقطر رحاه، إذ أن له رحى تدور فيها الدقائق في لولب مفتوح، وهي في كل دورة تستمد من الكهرباء والمغناطيسية قوة تزيد سرعتها شيئاً فشيئاً حتى تنطلق من فتحة جانبية بقوة تزيد أضعافاً مضاعفة على قوتها حينما دخلت السيكلوترون. وأقرب شبيه نعرفه للسيكلوترون هو (المقلاع) الذي يتكون من خيط في مثل الذراع طولاً ينتهي بمحفظة بها حجر، يديره الصبي مراراً فوق رأسه في أقصى امتداد ذراعه، ثم يطلق الحجر من المحفظة بعد أن يكتسب سرعة تقذفه إلى هدف بعيد فيصيبه بقوة ما كانت لتكون له لولا (المقلاع).

وهكذا عكف العلماء منذ خمسة عشر عاماً أو تزيد على السيكلوترونات يصنعونها وفقاً للنموذج الأول الذي اخترعه لورانس في جامعة كاليفورنيا، ويبتكرون له نماذج جديدة ذات أحجام مختلفة، وبعضها يختلف عن الأصل اختلافاً كبيراً، فعرفنا منها السينكروترون والبيتاترون وغيرهما، ولكنها كلها مقاليع ذات رحى تدور فيها الدقائق الذرية من جزيئات وكهارب وبروتونات ونيوترونات حيناً، ثم تقذف في الهواء بقوة قل أن يكون لها مثيل إلا في حالات الانفجارات الذرية الكبرى. وسيكلوترون كاليفورنيا الضخم قطر رحاه [illegible] بوصة أي ما يقرب من المتر ونصف [illegible] منذ [illegible].

وقد رأى الدكتور سيبورج من علماء كاليفورنيا أن يكمل نقصاً طالما أعيا العلماء إكماله في جدول العناصر المعروفة في الأرض. فجمع حوله نخبة من الساعدين الأذكياء، واتخذوا مقراً لهم بجوار السيكلوترون يسلطون دقائقه (القواذف) على ذرات معروفة حتى تتحطم، ثم يبحثون وسط حطامها عن ذرات غير معروفة، أو يوجهون تلك الدقائق إلى ذرات أخرى عسى أن تلتصق بها فتوجد ذرات أكبر مما يعرف على سطح الأرض. واتبعوا سبيل الهدم والبناء، ثم فحص ما يتهدم من كيان الذرات أو ما يستجد من بنيانها بحثاً وراء جديد من أمرها.

وآخر ما أعلن من نتائج سيبورج ومعاونيه عنصر جديد أسموه (بركليوم) نسبة إلى بركلي مقر جامعة كاليفورنيا، ورتبته في جدول العناصر ٩٧. وقد حضرت منه كميات ضئيلة وفحصت خواصه الكيميائية والطبيعية،

وظهر أنه غير مستقر ، فقد تحضره الآن ، ثم تتفقده بعد خمس ساعات ، فلا تجد سوى نصفه ، ثم يتناقص إلى الربع بعد تسع ساعات ، فلا يكاد يمر نهار كامل حتى يتلاشى (الركليوم) ، إذ أنه يتفاعل مع الإلكترونات الطليقة فيتحول إلى غيره من العناصر . وهذا هو سبب عدم وجوده خالصاً ثابتاً فى الطبيعة . فهو مما لا يبقى على الزمن ولا يدوم على الأيام بله ولا الساعات والدقائق .

ومن عادة العلماء فى السنوات الأخيرة أن يسموا العناصر باسم البلاد أو مواطن الرجال ، فثمة عنصر البولونيوم نسبة إلى بولندا تكريماً لمدام كورى ، وهى بولندية الأصل وفرنسية الجنسية . وثمة الجرمانيوم نسبة إلى ألمانيا والسكانديوم نسبة إلى سكنديناڤيا والأمريكيوم نسبة إلى أمريكا والتربيوم نسبة إلى (تربى) وهى مدينة صغيرة فى السويد كانت مقراً لعمل العالم الكبير (جادولين) الذى كشف عن الكثير من العناصر النادرة .

وقد تسمى العناصر بأسماء العلماء أنفسهم تكريماً لهم وإعزازاً لذكراهم ، من قبيل ذلك عنصر الكوريوم نسبة إلى مدام كورى ، وعنصر الجادولينيوم نسبة إلى جادولين المشار إليه آنفاً . وثمة طريقة أخرى فى تسمية العناصر ، هى تقليد تتابع أسماء الكواكب السيارة التى تدور حول الشمس خارج الكواكب القديمة المعروفة منذ فجر الحضارة ، وهذه الكواكب ثلاثة : أورانوس ، ونبتون ، وبلوتو . وقد سمى أحد العناصر (أورانيوم) أو (يورانيوم) والفرق بين الألف الأولى والياء ، هو الفرق بين نطق الفرنسيين ونطق الانجليز لحرف (U) الافرنجى . وكان اليورانيوم أثقل العناصر المعروفة على وجه الأرض ، التى توجد فى الطبيعة خالصة أو على شكل مركبات مع عناصر أخرى ، وترتيبه فى جدول العناصر ٩٢ .

ثم جاءت السيكلوترونات ومحطمات الذرات وقنابل الجحيم ، وعنيت الحكومات — أى بعض الحكومات — بالبحوث العلمية والذرية لأغراض سلمية أو حربية ، (وكلاهما أغراض شريفة فى صالح الدفاع عن الحضارة والإنسانية) .

فلم يعد اليورانيوم آخر العناصر ، ولم يعد أثقلها ، بل جاء بعده عنصر ترتيبه الثالث والتسعون عرف باسم النبتونيوم ، لم تمهل له الأقدار خطراً ، ولكن منه أو فوق رفاته يتولد العنصر الرابع والتسعون ، واسمه (البلوتونيوم) ، وهذا خرت له (الجبابرة ساجدين) ، بل زهقت أرواحهم منه ومن الخراب بفضل قنابله الذرية . ولم يقف العلماء عند حد العنصر الرابع والتسعين ، بل أتقنوا صناعة بناء الذرات ، وتجميع ما تناثر من دقائقها ، وتابعوا الجرى وراء الذرات حتى أمسكوا بالعنصر الخامس والتسعين وهو الأمريكيوم ، ثم بالسادس والتسعين . وها نحن أولاء نعلم أنهم قد أمسكوا بالعنصر ٩٧ . ويقول الرواة إن العلماء على ثقة بإمكان تحضير العنصر ٩٨ ، بل ربما يكون قد تم تحضيره فعلاً .

إن التعرف على العناصر الجديدة له ولا شك دلالته الفلسفية الهامة بالإضافة إلى نتائجه العلمية أو العملية التى قد تمخض عنها تجارب العلماء وبحوثهم التى تضفى عليها أسرار الكون [illegible] فالعناصر الجديدة تنحل وتتغير كأية [illegible] لا تعمر طويلاً دون أن تتحول إلى عناصر أرقى منها [illegible] وأقل تشبعاً وأخف وزناً . ولكن هل معنى ذلك أن العناصر القديمة خالدة أبدية ، وأنها لا تنحل قط ولا تتحول أبداً ؟

الجواب عن هذا السؤال ، سواء بالنفى أو الإيجاب ، يحملنا إلى الضرب فى بيداء الفكر على غير هدى مبين . فإن كان بالنفى ، جاز القول بأن عنصر الركليوم يفقد نصف كتلته فى ٠٫٢٧ دقيقة ، وأن عنصر الراديوم يفقد نصف كتلته فى بضعة آلاف من السنين ، وأن عنصر الحديد مثلاً يفقد نصف كتلته بعد حقبة مهما طالت إلا أنها مما يحيط بها العد وتدخل فى دائرة الحصر . أى معنى إذاً يكون للبقاء أو الدوام . حتى المادة الجامدة تفنى إلى طاقة وتتحول من صورة إلى أخرى . وتلك المادة الجامدة لها دورة مثل دورات الأحياء ، فهى تولد كما تولد الصغار ، وتنمو كما تنمو تلك وتتشكل وتتفاعل ، حتى إذا انقضى أجلها وبلغ بها الزمن منتهاها ، صارت شيئاً آخر ، أى أنها

الذرة وأثرها فى التوازن الدولى

للأستاذ عبد الكريم أحمد

كان البلاغ الرسمى الذى اشتركت فى إصداره كل من انجلترا والولايات المتحدة الأمريكية وكندا عن حدوث انفجار ذرى فى روسيا وقع شديد فى شعوب المعسكر الغربى، على الرغم من أن العلماء لم يكفوا منذ هيروشيما عن التصريح بأن احتكار القنبلة الذرية لا يمكن أن يظل فترة طويلة ملكاً لدولة واحدة، وأن المسألة أصبحت مسألة وقت لا أكثر، حتى تستطيع الدول الأخرى اكتشاف أسرار الذرة.

فمنذ أن ذاع سر إمكان استخدام الانفجار الذرى استخداماً عملياً فى الحرب، وهو السر الذى أذاعته أمريكا بإطلاقها قنبلة هيروشيما، أصبح الأمر لا يتطلب سوى الوقت والوسيلة.

والشىء الوحيد الذى قد يدعو [illegible] روسيا استطاعت إحداث الانفجار [illegible] قدر العلماء. ولكن ليس معنى ذلك أن روسيا أصبحت تقف وأمريكا على قدم المساواة فى إنتاج الأسلحة الذرية، أو أنها اقتربت منها فى هذا الميدان. فالوصول إلى إحداث انفجار ذرى شىء، والقدرة على إنتاج أسلحة ذرية بكميات ذات أثر استراتيجى شىء آخر تماماً.

ويجب أن نفصل الجانب العلمى والفنى عن الناحية الاستراتيجية والسياسية فى هذا الشأن، حتى نستطيع أن نكون فكرة صحيحة عن الموقف، إذ أن إنتاج أول قنبلة ذرية لا يمنح الدولة قوة سياسية أو حربية كبيرة، وإن كان يدل على أنها قد حلت المشكلة من ناحيتها العلمية والفنية أو سارت شوطاً طويلاً فى حلها من هذه الناحية. وتحتاج الدولة التى تريد الإفادة من الأسلحة الذرية سياسياً واستراتيجياً، إلى ما هو أكثر من القنبلة الأولى، إنها تحتاج إلى زيادة قدرتها على إنتاج القنابل من هذا النوع لزيادة تسمح لها باختزان كمية كبيرة منها تكون ذات أثر استراتيجى فعال، لأن الأسلحة الذرية تعتمد على الموجود منها فعلاً عند بدء القتال لا على ما يمكن صنعه أثناءه.

ويجب أيضاً ألا يغيب عن بالنا أهمية الوسيلة التى ستنقل هذه القنابل إلى أهدافها، سواء كانت الطائرات أو [illegible] كذلك المراكز التى ستنطلق منها هذه الطائرات [illegible] ونظرة واحدة نلقيها على خريطة العالم تكفى [illegible] أى المعسكرين يملك مراكز استراتيجية أصلح.

ويقدر الخبراء أن العدد الذى يجب على الدولة أن تخزنه من القنابل حتى تستطيع أن تعتمد على هذا السلاح يتراوح بين ٣٠٠ ، ٥٠٠ قنبلة. ويتوقف هذا العدد على عوامل كثيرة أهمها نوع القنابل ومساحة الدولة التى ستستعمل ضدها هذه القنابل وقدرتها الإنتاجية الخ. فإن دولة مثل

(تموت). فالخلق من العدم، والعدم لا خلق سنة الوجود فى الحى والجماد سواء بسواء.

وإن كانت العناصر أزلية باقية، فكيف لها أن تكون كذلك وأمثالها تتحلل بين أيدينا وأمام نواظرنا. هل هى عناصر مصطفاة أودعت الأرض لحكمة فى الوجود والأرض لم تعد بعد تحور سوءاً.

نترك هذا البحث لرجال الفلسفة، ونترك البحوث الحديثة لعلماء الذرة؛ فالأول مبحث يحتاج إلى دراية، والثانى له العلم والمال. ونتوجه إلى وزارة معارفنا الرشيدة برجاء أن تضيف العناصر الجديدة إلى الطبعات القادمة من الكتب المدرسية المقررة، ولعل ذلك يقرب إلى مدارك أبنائنا أن قافلة العلم تسير وتتقدم، وأننا لا نكاد نقدر على المعاونة فى دفعها إلى الأمام، بل إننا نكاد نعجز عن متابعة سيرها.

إبراهيم على عبد الرحمن

بلجيكا قد تكفي ٣٠٠ قنبلة لتدمير جميع مرافقها وشلها تماماً من الناحية الحربية ، بينما لا يقل ما تحتاجه دولة مثل انجلترا عن ٦٠٠ قنبلة ، وكذلك فرنسا ، ونحسب أن روسيا تحتاج إلى أكثر من هذا العدد ، وكذلك الولايات المتحدة .

وللمسألة وجه آخر من الناحية الفنية البحتة . فنحن نعلم أن روسيا استطاعت إحداث انفجار ذري . ولكن إلى أي حد ؟ فمن الجائز أن الوسيلة التي استعملتها لا تطلق سوى ١٠ ٪ من المادة المعدة للانفجار . وهذا ما اتفق عليه خبراء الذرة . بينما الأبحاث التي يقوم بها المعسكر الغربي منذ قنبلة هيروشيما حتى الآن أدت إلى استنباط الوسائل الكفيلة بإطلاق أكثر من ٦٠ ٪ من الطاقة الذرية . وواضح أن قنبلة تدمير بهذه الوسيلة تساوي على الأقل ستاً من القنابل التي يستعمل في تفجيرها وسيلة لا تطلق إلا ١٠٪ من الطاقة .

ولم تكن الولايات المتحدة تملك عند نهاية الحرب الماضية سوى قنبلتين ذريتين استعملتهما في هيروشيما ونجازاكي كما اعترف قواد الجيش الأمريكي [illegible] السيكولوجي الذي تركه هاتان القنبلتان في [illegible] اليابان ، لا على ما أحدثتاه من تدمير . وبعد ذلك بسنتين كانت الولايات المتحدة لا تنتج أكثر من بضع قنابل لا يتجاوز عددها أصابع اليدين في الشهر ، كما جاء في تقرير لجنة الطاقة الذرية الذي رفعته إلى الكونجرس عام ١٩٤٨ . ومعنى هذا أن الوقت الذي يتطلبه إعداد كمية من القنابل ذات أثر فعال في الحرب قد يصل إلى خمسة أعوام إن لم يزد ! هذا إلا إذا اهتدت إحدى الدول إلى وسائل غير المعروفة حالياً للسيطرة على الذرة .

وإذا كان هذا الحساب ينطبق على الولايات المتحدة بمواردها الضخمة واستعداداتها الهائلة ، ففي الصعب تطبيقه على روسيا .

ويقول علماء طبقات الأرض إن مناجم اليورانيوم والثوريوم وهما المادتان الأساسيتان في صناعة القنابل الذرية لا توجدان بكميات متوفرة إلا في ست مناطق في العالم . فاليورانيوم يوجد في الكونغو البلجيكي وكندا والولايات المتحدة وتشيكوسلوفاكيا ، بينما الثوريوم يوجد في الهند والبرازيل . وتوجد من بين هذه المناطق الست منطقة واحدة داخل النفوذ الروسي ، هي تشيكوسلوفاكيا ، واليورانيوم الموجود في مناجمها أقل بكثير من المناطق الثلاث الأخرى .

هذا ومن الجائز أن روسيا قد اكتشفت اليورانيوم في أرضها أو في إحدى البلاد التابعة لها ، ولكن هذا الفرض بعيد الاحتمال ، وحتى في هذه الحالة لن تكون الكميات التي تستخرجها روسيا من هذا المعدن قريبة من الكميات التي تنتجها الموارد التي يسيطر عليها المعسكر الغربي .

وهناك احتمال آخر ، وهو أن روسيا تستخرج اليورانيوم من التراب وهو يوجد فيه بنسبة لا تتجاوز [illegible] ٪ كما يوجد فيه الثوريوم بنسبة [illegible] ٪ وهي نسبة ضئيلة تحتاج إلى عمليات طويلة ومجهودات كبيرة لاستخراجها لا تقارن بالمجهودات اللازمة لاستخراج اليورانيوم الذي يوجد في مناجم كندا مثلاً بنسبة ٣ ٪ ، وفي الكونغو [illegible] وفي أمريكا بنسبة ١٫٢٥ ٪ .

فإذا احتاجت أمريكا إلى خمسة أعوام لإنتاج كمية من القنابل الذرية تكفي للسيادة في هذا الميدان ، فإن روسيا تحتاج إلى أكثر من عشرين عاماً لإنتاج هذه الكمية إذا قارنا بين موارد الدولتين في هذا المضمار ولاحظنا الفارق الضخم في التقدم الفني .

ولكن الحال لن يستمر كذلك ، فإن هذا التفوق الذي تمتاز به الولايات المتحدة في عدد القنابل الذرية ونوعها ووسائل نقلها إلى أهدافها لن يظل على ما هو عليه ، وستتمكن روسيا بعد فترة من إنتاج أسلحة ذرية تجعلها تقف على قدم المساواة مع الولايات المتحدة إلا إذا استطاعت الأخيرة أن تنتج أنواعاً أخرى من الأسلحة مثل القنبلة الأيدروجينية مستعينة في ذلك بتقدمها الفني والفني الذي لا يبارى ، ومواردها التي تكاد لا تنضب . ولعل المستقبل يخبئ للبشر مفاجآت أخرى ، جديدة لم تعرف بعد .

عبد الكريم أحمد

في النقد الأدبي

الزمن والمســـــافة

في شعر ذي الرمة

(مهداة إلى الأستاذ الكريم الدكتور شوقي ضيف)

الأستاذ إحسان عباس

كثيراً ما نسمع النقاد يقولون هذا شاعر رسام ، وهذا شاعر موسيقي ، وذلك رسام يرسم موسيقا ، وذاك موسيقي يصور بالألحان ، فنحس في مثل هذه الأقوال أن أحد الفنون قد تعدى مجاله الخاص به إلى مجال فن آخر ، وحاول أن يقوم مقامه في التعبير والأداء . وأقول « مجاله الخاص به » لأن الفنون تختلف فيما بينها في الأداة ، ومن ثم تتفاضل على أساس المكان والزمن : فالرسم يعتمد على المكان ، والموسيقا تعتمد على الزمن ؛ فإذا [illegible] حقائق الزمن في صوره ، فقد [illegible] وكذلك هو الشأن في الموسيقا ، إذا [illegible] الأبعاد الزمني الخالص تفقد شيئاً ما .

والمثال فن ، صحيحة فيه ، لأنه منفصل عن الزمن ، وقطعة الموسيقا صحيحة لأنها بمنأى عن المكان ، ولا بد للفنان من أن ينفي أحدهما — الزمن أو المكان — ويثبت الآخر وإن كانت عملية النفي والإثبات تحتاج إلى جهد كبير وتركيز تام . فإذا انتفى الزمن من عالم المثال وانتفى المكان من جو القطعة الموسيقية كان كل منهما مطلقاً .

وعالم المكان هو الذي يكسب الصورة عند الرسام ما لها من خصائص ، وهذا العالم يضم ما هنالك من أشجار وصخور وبيوت وناس ومناظر وأضواء وظلال وكل ما تقع عليه العين ، ولا بد للرسام من لحظة تتركز فيها كل قواه الفنية في النظر إلى المكان مجردة عن الزمن ، أي أن على الرسام أن يصور تلك الأشياء تصويراً مطلقاً وتمر به لحظة من اللحظات وقد انعدم الزمن بالنسبة إليه .

كذلك هو الشأن في القصة الطويلة ، فهنالك قصة حرة في الزمن مقيدة من حيث المكان ، يمتد فيها الزمن ويتحرك دون أن نعرف متى ينتهي ، فإذا انفتح المدى الذي يجري إليه ظهر الدهر على مسرح الحوادث فصرف بيده القوية كل شيء ، وانتهت القصة . وهنالك قصة تتخذ المسافة مجالاً [illegible] شخصياتها ثابتة في صفاتها وطبائعها لا يغيرها الزمن ولا [illegible] ، ولكنها تتحرك وتعمل وفقاً لطبائع ثابتة ، [illegible] هذا النوع من القصص يظل ، حتى [illegible](١) .

وكذلك هو الشأن في الشعر ، فإذا وجدت شاعراً يقف [illegible] عند الصورة وينسى كل شيء عداها ، وتصبح الحركة الخارجية في قصيدته بطيئة أو متوقفة — تقريباً — فاعلم أنه إلى ناحية الرسام أكثر جنوحاً منه إلى ناحية الموسيقي .

وذو الرمة شاعر رسام يجري في اختيار المكان فيما يمثله من صور ، وفيه ما في الرسام من خصائص ، فهو قد يترك الأشياء تتحرك من حوله ويتخذ موقف المصور وينسى كل شيء أمامه إلا المنظر الذي يريد إخراجه ، ونحس وأنت تقرأ قصيدة من قصائده أن الحركة في الناحية الزمنية (الموسيقية) تكاد تقف ، وأن الشاعر قد انفصل عن كل ما حوله وتأنى في النظر وطال استغراق تام ليخرج لنا ما يراه صورة كاملة . فَتَمْثِيلُ صاحبته ليست ظبية أو كالظبية فحسب — كما اعتاد الشعراء أن يشبهوا صواحبهم ؛

(١) انظر كتاب : The Structure of the Novel, by Muir ص ٨٩ — ٩٢ .

ولكنها كالظبية التي أغفلت ترائبها تبدو من بعيد في فم وادٍ بين منعقدات من الرمل، في وقت هو بين النهار والليل، وعلى جانبي هذا الوادي أشجار ظليلة. وهكذا اجتمع في هذه الصورة كل ما يتطلبه المصور لرسم منظر طبيعي.

غير أن ذا الرمة لا ينسى وهو يؤدي مهمة الرسام، أنه شاعر، وأنه لا وجود للشعر بغير الزمن؛ فلذلك نجده يصور ويزيد في الحركة الداخلية أثناء تصويره حتى لا تقف الصورة جامدة أو باهتة. وهذا جهد مضاعف، ولكن ذا الرمة يبلغ فيه الغاية، لأنه متأثر بما يرى، يشعر بتجاوب بينه وبين المناظر التي يرسمها؛ فإذا أراد أن يصور رحلة حمر الوحش إلى الماء في جوف الصحراء وقف موقف الرسام، ولكنه أثار الحركة في كلّ ما بداخل الصورة؛ فالحمر متدافعة في مشيها اقترب من الماء، فإذا أحست نبأة جحدت آذانها متوجسة، «ثم اقتحمتها حتى الماء، فأرسلت أعناقها للشرب فأعجلها الصائد المتحفز الذي [illegible] من سيابه رامح طائشاً، فولت الحمر [illegible] في الأرض» ... ويستعين ذو الرمة على إبراز الصورة [illegible] تعمل في حرسها ما يزيده من دلالة [illegible] الرسام [illegible] الألوان.

وليس يتسنى للدارس أن يفهم [illegible] الصور عند ذي الرمة غريبة — وهي غريبة حقاً — إلا إذا ذكر دائماً أن ذا الرمة مصور، وأن البعد أو القرب من الجسم المرئي له أثره في إخراج الصورة. وأكثر صور ذي الرمة قد رسمت من بُعد، لأن الصحراء بأبعادها الشاسعة قد أثرت في تصويره وتعبيره، فعودته النظر إلى الأشياء من بعيد. فالجوزاء قد مالت على الأفق كأنها قطيع من بقر الوحش تدلى على حبل من الرمل طوله أيام ومرتبه كذلك:

وقد مالت الجوزاء حتى كأنها
صوار تدلى من أميل مقابل

ولا يمكن للإنسان أن يصور الجوزاء قطيعاً من بقر الوحش إلا إذا آمن أن ذا الرمة إنما اعتاد رؤية مثل ذلك القطيع وهو سائر في الصحراء، وأنه كان يراه من بعيد.

وإن الظبية قد نام على الأرض ملتفاً على نفسه كأنه دملج [illegible] من الفضة نسيته إحدى عذارى الحي ملقى في ملعب العذارى:

كأنه دملج من فضة نبهٌ
في ملعب من عذارى الحي مفصوم

ولابد لفهم هذه الصورة من أن نقدر مسافة معينة بين ذي الرمة وولد الظبية وإن كانت أقل من المسافة في صورة الجوزاء وقطيع البقر.

ويقول ذو الرمة أيضاً:

ويضحى به الرعن الخشام كأنه
وراء الثنايا شخص أكلف مرقل

ومعنى ذلك أن أنف الجبل الأشم وقد غاص في السراب يشبه فرساً أحوى يضرب لونه إلى الحمرة، وهو ظالع في مشيته يتحامل على نفسه وقد تأخر وراء الخيل. ولست أظن أن هذه الصورة عادية، ولا بد أن نتخيل وراءها شيئاً [illegible] حتى يكون الجبل الذي يبدو غارقاً بعضه في السراب فرساً أعرج إلا إذا قدرنا بينه وبين الناظر إليه مسافة.

*

[illegible] كثير من صور هذا الشاعر، بل إن ذا الرمة ينتقل إلى جانب الرسام انتقالاً حديثاً، فيتقبل الزمن في تصويره إلى مكان، ويستحضر ماضيه استحضاراً رهيباً أو عاطفياً، ثم يقيم بينه وبين هذا الماضي مسافة كبيرة. فأي إنسان يتراءى له ماضيه الذي كان يلهو فيه ويلعب «بركة صغيرة» من الماء يسبح فيها، إلا إنسان ينظر إلى ماضيه من «علو شاهق»(١)؛ وذو الرمة في تصويره هذا على خلاف المألوف، لأن الناس حين يتصورون ماضيهم يقربون المسافة بينهم وبينه حتى يلامس ماضيهم حاضرهم ويطغى عليه. غير أنه يخالف المألوف لأنه تعود أن ينظر إلى المحسوسات من بعيد. وكذلك هو في قوله:

فدع ذكر عيش قد مضى ليس راجعاً
ودنيا كظل الكرم كنا نخوضها

ولا يكون الماضي كظل الكرم إلا حين يكون بعيداً في نظر المخيلة.

---

(١) ليالي اللهو يطبيني فأتبعه   كأنني ضارب في غمرة لعب

في مهرجان الطبيعة :

عاد الربيع

عادَ الربيع وفي يديك رُواؤه
وفي جبينك قد بدت آلاؤه
وافى ، يُغرّد في الحدائق صبحه
ويكاد من طربٍ يذوب مساؤه
والجــدول الرقراق سطر قيده
ومضى يصفق في الخمائل ماؤه
والبلبــل المغرور غادر عُشه
مترنماً ، يحيي الزمانَ غناؤه
والروضُ مخضرُّ الجوانب زاهرٌ
طابت أصــائلهُ ، ورقَّ هواؤه
والعاشق الخفّاقُ بين جوانحي
غرد ، وحياته ماؤه ورواؤه
وأنا على العهد الذي أعرفته
راضٍ ، كما يرضى الوفيّ صفاؤه

• • •

يا زهرتي ماذا أقول ، وفي دمي
لهبٌ يُستعرُ وقده حرماني !
ماذا أقول وفي فمي أنشودةٌ
تنوي تنير كوامن الأشجان ؟
ألهمتنيها يوم ألتف جنـــانا
عبد الربيع ، وركبه النوراني
يمضي الزمان وأنتِ لحنٌ ملهمٌ
ساقٍ يهز مشاعري وكياني
روحان مؤتلفان ، يفصل بيننا
شبحٌ من الجيل القديم الفاني
ما ضر لو أني أطعت خواطري
فرثت من سقمي ومن تيراني
وطرحت أردية الوقار وما له
من ساحرٍ مالي عليه يدانِ !

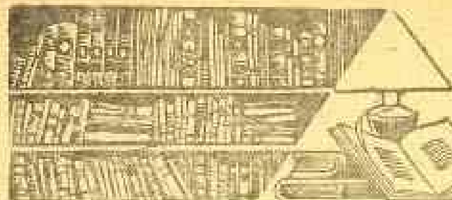
• • •

عاد الربيع ... نسيمه وغناؤه
يعــد الشباب يبين فيه وفاؤه
فكأنه حبٌ يطول عنــاده
لكنه وافٍ يشوق لقــاؤه
في كل عام تلتقي فيروس
يوم اللقــاء جمــاله وصفاؤه
ويثير في نفسي أحاسيسَ التي
ويعيد لي عهداً زهت أضواؤه
عهدي ... بأنسي حرة .. وفي
أحلامه .. وشبابه .. ورجاؤه
لا شيء غير يد الربيع وعهده
يحيي ســقيماً قد تفاقم داؤه
تحجبُ الأسى دهراً فلما جاءه
عبد الطبيعة ، أينعتْ صحراؤه

فتى بيرمي

فإذا نحن لم نأخذ بقانون البعد والقرب في صور ذي الرمة تراءت لنا صورة غريبة إذ وقد مات ذو الرمة شاباً . فكأن ماضيه في الواقع قريباً من حاضره ، وكان مصوراً والمصور كثيراً ما يغفل عن الزمن ، من أجل ذلك ربما كان قانون المسافة خير ما يفسر بعد الماضي في عقله ، إلا إذا افترضنا أن لحظات التصوير في حياته كانت قليلة وأنه كان بعدها يرجع إلى نفسه ويتأمل دياره وما أصيب به من إخفاق في حبه ، فيحس ببطء الزمن ويرى نفسه في الشباب قد أصبح شيخاً . وهذا ما يصدق في الواقع على الجانب الآخر من شعره وهو الجانب الغزلي المليء بالدموع والحسرات ؛ وفي نسبية الزمن تعليل هذه الناحية ، فإن ذا الرمة مات شاباً بحساب السنين القمرية أو الشمسية ، ومات شيخاً لأنه أحس بعمره يمضي بطيئاً متشابه الأيام .

إحسان عباس



من بطون الكتب

القـــوم يقرءون

للأستاذ مبارك إبراهيم

١ — إيفانهو

هي أبدع رواية أخرجها « سير والتر سكوت » وقد كتبت ونشرت عام ١٨١٩ فكانت مفاجأة للناس . وقد هجر فيها الكاتب اسكتلندة إلى انجلترا ، وحاول أن يصور فيها صورة للقرن الثاني عشر . كما حاول أن يصور للناس صورة الرجل نصف الأسطوري « ريكاردوس قلب الأسد » وقد أعانه على هذا إلمامه بآداب عصر ... خرجت روايته هذه من أبدع ما تكون ... القرون الوسطى ، وتبرز مشاهد الفروسية والحفلات .

والنسخة الأصلية للرواية محفوظة اليوم بقصر (أبوتسفورد) الذي كان يقيم فيه الكاتب .

وهي تقص قصة « سير ويلفرد » فارس إيفانهو ، ذلك الفارس السكسوني الشاب ، الذي جمع بين الولاء والشجاعة والجمال ، والذي حرمه أبوه من الميراث من أجل حب لفتاة اسمها (روينا) كان أبوه وصيًا عليها . وكذلك لخدمته في صفوف ملك نورماندي .

وكان هذا الفارس ذا حظوة عند الملك « ريكاردوس قلب الأسد » وقد ذاع صيته في الحرب الصليبية في فلسطين ثم تزيّى في زي الحجاج العائدين من تلك البلاد . لكي يستطيع أن يمتع ناظريه برؤية (روينا) .

ثم انضم هذا الفارس ، متسميًا باسم (ديسدشادو) — وهي كلمة إسبانية معناها (المحروم من الميراث) — إلى جماعة من الفارسين بالسيف . وجرح في إحدى المبارزات ، فكان يرعاه واحد من أصحابه هو أحد أثرياء اليهود ، واسمه (إسحق) وابنته (ربيكا) وكانت هذه تتولى تطبيبه والعناية به ، وقد شغلها حب هذا الفارس المقدام النبيل .

أما (روينا) فقد سباها (دي براسي) وكانت قد سبيت قبلًا ، ثم احتفظ بها في حصن (توركويلستون) . فلما خرجت من ... زوجها (إيفانهو) وذلك بحضور الملك « ريكاردوس » . وكانت الفتاة (ربيكا) أحب شخوص (سير والتر سكوت) إليه ، وأعزها عنده على الرغم من تصويره للأميرة (روينا) في صورة من الجمال الخلودي ، ومن الأخلاق والعقل ، ومن الملاحة والظرف .

وكانت (ربيكا) سمحة كريمة بقدر ما كان أبوها شحيحًا جشعًا ، وعلى الرغم من أن حبها لإيفانهو كان حبًا لا يدانيه حب ، فقد كانت واثقة أن زواجها به كان أمرًا محالًا .

وكانت تشفق للحال على (بوا جلبر) أحد جماعة « فرسان المعبد » ليسعى سعيه في إطلاق سراح (روينا) من سجنها .

وقد حرمت تلك الفتاة الكريمة (ربيكا) بحب ذلك الفارس المفتون (بوا جلبر) وأقسمت لتلقين بنفسها من أعلى منارة البرج إذا لم يرجع عن غيه .

ثم أخذ هذا الفارس الغيظ بناصية الفتاة ، وقدمها إلى الهيئة القضائية للفرسان متهمًا إياها بتهمة السحر ، متخذًا من ذكائها ، ومن مهارتها في الطب ، وما أوتيت من قسامة ووسامة أسبابًا للاتهام ، ولكن قضاتها برأوا ساحتها وأطلقوا سبيلها .

وصف (سكوت) الملك (ريكاردوس قلب الأسد) ، وقد عاد من حروبه بفلسطين في اللحظة التي كانت مؤامرة أخيه لخلعه قد بلغت الذروة ، فدخل (قلب الأسد) حلقة المبارزة متخفياً في زي الفارس الأسود ، وأبدى من ضروب البطولة ما أبدى ، ثم نجا من القتل بواسطة جماعة الفارس الأسطوري (روبن هود) ، ثم ضيّق الحصار على حصن (توركويلستون) .

والرواية ملأى بمختلف الشخوص ، ففيها النورمانديون ورعاياهم ، وفيها الفرسان ، وفيها (فرسان المعبد) ، وفيها القسيسون والرهبان ، وفيها المسجونون والسجانون ، وفيها صور رائعة ، صور فيها (سير والتر سكوت) النورمانديين ، والسكسونيين ، فأجاد الوصف ، وأبدع في التصوير .

وقد أجاد (سكوت) كل الإجادة في وصفه لرفض الملك السكسوني عن الزواج بين ولده (إيفانهو) وبين الفتاة (روينا) ، وكانت آية الرضا أن حضر بنفسه حفل الزفاف ، وكان الساعي في التوفيق بين الوالد وولده هو — كما قدمنا — الملك (قلب الأسد) .

وجمع (سكوت) في هذا الحفل كل السكسونيين النورمانديين ، وكذلك كل عقلاء السكسونيين ، وكان هذا الجمع بين عقلاء الأمتين ضرباً من السلام والوئام بين الشعبين ...

٣ — « الخطوبة » للكاتب الشاعر الإيطالي مانزوني (١٧٨٥ — ١٨٧٣) :

قصة حدثت حوادثها في ميلانو في القرن السابع عشر ، ثم جمعها مؤلفها (اليساندرو مانزوني) في عامي ١٨٢٥ — ١٨٢٦ ، ثم نشرها في باريس عام ١٨٢٧ ، وهي القصة التي لم يؤلف مؤلفها قصة أحسن منها ، وقد كان فيها الكفاية لأن تجعل منه قصاصاً ذائع الصيت في أوربا بأجمعها ، وذلك لأن هذا الكاتب قد عاش عيشة سداها ولحمتها الطهر والنبل ، وكان أسلوبه في الكتابة أسلوباً يمتزج بالروح امتزاج الخمر بالماء ، وكان كاتباً مقلاً ولكن كل كلمة كتبها كان مصدرها القلب ، وكانت تدل على أن الكاتب هو الرجل الحق .

وقد بدأ (مانزوني) حياته شكاكاً مرتاباً ، ثم تزوج من سيدة تدين بالمذهب البروتستانتي فأرجعته إلى حظيرة الدين وأصبح كلاهما كاثوليكيا ، وكان انقلابهما انقلاب وانقلاب عقيدة . وقد صور (مانزوني) في القصة التي نحن بصددها صورة كاملة للحياة الإيطالية . وقد أجرى هو حوادث القصة في الأرض التي تحيط بمدينة ميلانو . وأدار حبكة الرواية على فلاح متواضع القدر اسمه (رنزو) وعلى خطيبة ذلك الفلاح واسمها (لوسيا) وهي عذراء القرية التي كانت محط أنظار (دون رودريجو) وهو زعيم عصابة من الخارجين على القوانين .

وكما صور الكاتب في روايته حياة هذا البارون العاص ورجاله ، صور كذلك حياة القسيسين والرهبان كما كان يمثلها قسيس القرية (أبونديو) ذلك الخوار الجبان . وكما كان يمثلها الراهب الشجاع (كريستو فورو) والكاردينال (بوروميو) الرقيق الخلق ، الكريم الشيم .

وكذلك قد صور الكاتب الوباء الجتاح بكل ما أحاط به من ذعر وهلع ، ومن رعب وفزع . كما كان يحس به ذلك العاشق وهو يجوب أنحاء المدينة الكبرى ، مدينة ميلانو ، باحثاً عن حبيبته في أرجائها وفي المحجر الصحي .

وقد صور أيضاً في تلك القصة تلك العصابة العاتية ، عصابة (...) وهي تلك العصابة التي كانت تتولى دفن الموتى .

كما صور أيضاً الأثر الطيب للكنيسة في إعادة النظام ووقف الفوضى ، وفي إنزال العقاب بالأشقياء المجرمين . وفي إنزال السكينة والطمأنينة على قلوب أولئك الذين تخلقوا بالأخلاق الفاضلة .

وكأن تلك القصة قد اشترك في الإيحاء بها (بوكاشيو) و (ديفو) و (والتر سكوت) .

وكأنما قد رسم صورها الشاعر المصور (سالفاتور روزا ١٦١٥ — ١٦٧٣) .

والروح الدينية في القصة روح خالصة لا مغالاة فيها ، ولا تجري أبداً مجرى التعصب .

وقد نالت القصة إعجاب دوائر الأدب ونواديه في أوربا . وسرعان ما نقلت إلى كل اللغات الحديثة . وقد تكون هذه القصة هي القصة الوحيدة التي يعرفها ويلم بحوادثها القراء الأجانب الذين يقرءون القصة الإيطالية ...

(عن الإنجليزية)　　　　مبارك إبراهيم

في دوائر الأدب والفن

فن الحياة — محاضرة عن إليوت — وصية بيتهوفن

للأستاذ غالب طعمة فرمان

فن الحياة :

عرضت إحدى دور السينما في القاهرة فلماً يصوّر كفاح الإنسان ومصاولته القدر، وتغلّبه على مصاعب الحياة إذا أسعفته الإرادة القوية، وأعانه الصبر الطويل..

وخلاصة هذا الفلم أن شاباً أمريكياً رغب في طيه كثير من السذاجة التي تقرب من البلاهة، يهوى لعبة من لعب الرياضة وهي البيسبول، ويجاهد في أن يبلغ في إتقانها والبراعة فيها مبلغاً يجعل منه لاعباً ذائع الصيت.. وتتحقق للشاب أمنيته، ويصبح بعد العمل الدائب والمران الطويل بطلاً من أبطال تلك اللعبة.. وفي أوج المجد ونشوة النصر، وذيوع الاسم، وإقبال الحظ تصاب ساق الشاب برصاصة طائشة، ويفقد بعد ذلك ساقه، وهي أعز ما لديه.. ولم تنته قصة الشاب عند النهاية، ولا استسلم لقضاء حياته المر، ولا عاش في كهف مظلم من التشاؤم والقنوط بهذا المصيب الأعوج.. بل هو يكافح في ساق صناعية ويحاول أن يجدد حياته وآماله على أساس جديد.. كأن لم يقع الحادث المروع ولم يصبه القدر المشؤوم! ويتمرن الشاب على اللعب بساقه الحديدة ويبذل الجهد الجهيد، ويتذرع بالعزيمة الصلبة حتى يبلغ مراده، فإذا جمهور الملعب يرتج من أقصى جهاته للبطل مصفقاً ورفيع الجانب.

ليت شعري لو وقع هذا الحادث لشاب شرقي فماذا كان يصنع ؟!.

وهل هناك غير القنوط المقدور، والرضى بما هو واقع، وقضاء بقية العمر لانتظار الساعة التي يسدل فيها الستار على المأساة ؟!.

الحق أن الشرق ينقصه ما يسمى بفن الحياة !!. ينقصه ذلك التمرد الذي يصنع المعجزات، ينقصه ذلك الروح الذي لا يقنع بما هو واقع كأنه ضربة لازب، ولا يألف الجو الذي تغمره سحب التشاؤم، وتظلله ظلال قاتمة من اليأس المرير!.

والرجوع إلى منطق الحياة خليق بإرجاعنا إلى سواء السبيل.. فالحياة تزدري الضعيف وتحتقر المتخاذل المنطوي القانع بالنصيب القليل.. والأمم التي تقدس هذا المنطق، وتؤمن بهذه الشريعة هي الأمم التي يحلق لها المجد، ويسطر تاريخها الخالد بحروف من نور.

محاضرة عن إليوت :

ألقى مستر ألك كريج في المعهد البريطاني محاضرة باللغة الانجليزية عن الشاعر الانجليزي المعاصر توماس ستيرنز إليوت.. ولم تتناول المحاضرة كل شيء عن إليوت، وبذلك أخبرنا المحاضر، فهو لم يتحدث إلا عن إليوت الشاعر، وطبيعة أدبه، والاتجاهات التي تأثر بها..

قال المحاضر : إن (إليوت) ليس شاعراً معروفاً في انجلترا ومقروءاً في اللغة الانجليزية فقط، بل هو شاعر ذو شهرة عالمية، وصاحب مذهب في الأدب معروف.

ثم ذكر أن إليوت تأثر بمدرستين، أولاهما: المدرسة الميتافيزيقية في الشعر الانجليزي، وعلى الأخص الشاعر الانجليزي (جون دن).. وثانية المدرستين المدرسة الرمزية الفرنسية، وعلى وجه الخصوص الشاعر الرمزي (مالارميه) صاحب الأجواء الغامضة، والانطلاق في التعبير والهيام وراء الآفاق البعيدة.. ولم يقتصر تأثر (إليوت) على هذا الحد؛ فقد تأثر كذلك بدانتي في (الكوميدية الإلهية)

ونحن نجد مواقف جبنا في الكوميديا الإلهية والأرض الهجورة The waste land لإليوت ، ومن تلك المواقف وصف إليوت بأنه الشق برزخ تمحضت فيها أرواح أساتذته جميعها .

ووجه المحاضر اهتمامه إلى ثلاث نواح . الأولى : الاصطلاحات الخاصة بشعر إليوت ، فقال إن إليوت حاول أن يعبر عن أشياء غريبة تصدم أذواق الناس الذين لم يألفوا سماعها في الشعر ، والناحية الثانية : المادة التي صاغ منها إليوت موضوعات شعره .. والناحية الثالثة : الصعوبة الظاهرة في شعره ؛ فلاحظ أن الصعوبة لم تأت من تكلف وربط ألفاظ بألفاظ لاستخراج صور غامضة ليس لها طعم ولا غاية ، كما يفعل بعض الشعراء الذين يهوون الغموض ويتكلفونه .. بل إن صعوبة إليوت تفتح لك أبوابها عن معان رائعة حين تمعن النظر فيها والتطلع إليها بتفكير عميق .

وسمعنا بعد انتهاء المحاضرة شريطاً مسجلاً لصوت إليوت يلقي قطعة من (الأرض الهجورة) فكان صوتاً حياً فيه حرارة وعمق يلائم تلك الأجواء التي ينقلنا إليها إليوت .

وسأل أحد الحاضرين الأستاذ المحاضر : هل يحق لنا أن نقول إن إليوت تأثر بالشاعر الانجليزي ملتون .. فأجاب مستر كريغ بالإيجاب .

وصية بيتهوفن :

احتفل العالم في الأسبوع الماضي بذكرى الموسيقار الخالد الذكر لودفيج بيتهوفن . ومن سخرية الأقدار أن يصاب خالق الأنغام الجميلة بالصمم ويحال بينه وبين عالم الأصوات فيظل في عزلة كئيبة .. ففي عام ١٧٩٨ وهو في الثامنة والعشرين من عمره شعر بألم في أذنه يتطور إلى صمم مؤلم ، وشعر بيتهوفن حينذاك بالغربة والكآبة في العالم الذي يرقص على ألحانه ، وأصابه القنوط ، وخيل إليه أنه على حافة الموت ، فكتب وصيته الخالدة مودعاً فيها كل عواطفه نحو العالم :

« ما أشد تجنيكم علي يا من تزعمون أني حقود متشائم من الحياة ، كاره للبشرية ! إنكم لا تدركون علة ذلك ، فقد تملكتني منذ طفولتي عاطفة الطيبة الرقيقة ، وهيأت نفسي لجلائل الأعمال — ولكن صدمتني تلك العلة التي أخفيتها ستة أعوام آملاً أن علاجات الأطباء الغررين تشفيني منها ، حتى وضح الحق ، وبان لي أن علتي ليس لها شفاء !! وكتب علي وأنا في ريعان العمر أن ألوذ بكهف العزلة المظلم على رغم حبي للمجتمع ومسراته ! وما أقسى هذه التجربة وأمضها في قلبي ! . ولم أجد في نفسي الشجاعة على مصارحة أصدقائي بعلتي ، ففقدان حاسة كانت مرهفة أقرب إلى الكمال .. كلا أيها الناس إني لا أستطيع ، فأستميحكم العذر حين أهرب من مجتمعكم إلى عزلة قاسية وحرام علي أن أجتمع بكم ، وأتحدث إليكم وألاطفكم ، وأستسلم للاضطراب يستحوذ علي وتعتريني الحيرة حين أحضر مجلساً خوفاً من أن يقال : أصم ! .. وكم تملكتني الرغبة في الاجتماع وإطلاق نفسي من إسارها ، ولكني أشعر بالحيرة حين أرى رجلاً بالقرب مني ينصت إلى مزمار قيثار بعيد وأنا لا أسمع غناء الراعي وهو على مقربة مني ! لقد دفعتني هذه العلة إلى اليأس ودفعني اليأس إلى الانتحار ! ولكن الفن .. والفن ليس غير ، هو الذي أنقذني .. فمن المستحيل أن أهجر الدنيا دون أن أكمل الرسالة التي أحسست أني مكلف بأدائها .. وهكذا أريد لهذا الجسد المرتعش أن يعيش مرتقباً أقل تغير ينقله من ضفاف السعادة إلى صحراء الشقاء .. إنهم ينصحونني بالصبر ، وقد تذرعت به ، وآمل ألا يضيق صدري ، أو تخور عزيمتي حتى يحكم الله حكمه .. أليس من العسير أن يصبح الإنسان الفنان فيلسوفاً وهو في الثامنة والعشرين من عمره ! .

ويارب ! إنك عليم بذات صدري ، عالم أني أحب الناس وأرجو لهم الخير .. وأنتم أيها الناس إذا قرأتم كلامي فتذكروا أنكم ظلمتموني .. وإن عزاء وسلوى للقلب الشقي أن يتحدى الطبيعة ويتغلب على عقباتها ليصبح في موكب الممتازين من رجال الفن » .

ولم يشأ الله أن يودع بيتهوفن العالم إلا بعد ربع قرن من كتابة وصيته في سنة ١٨٢٧ ...

قاسم محمد فرحات



شرح قانون العقوبات المصرى

تأليف المستشار العميد أحمد أمين بك ، نقحه وجدده الدكتور على أحمد راشد

للأستاذ ضياء شيت

ذلك اسم الكتاب الخالد الذي أخرجه لرجال القانون حديثاً الدكتور على أحمد راشد أستاذ القانون الجنائى بكلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول ، وهو من تأليف العالم الجنائى العظيم المرحوم أحمد أمين بك عميد كلية الحقوق والمستشار بمحكمة النقض سابقاً . وقد نشر هذا [illegible] ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٢٣ فى صورة محاضرات [illegible] فى طلاب كلية الحقوق ، وقد [illegible] الطبعة الأولى ولما يحل عليها الحول فأعيدها ثانية فى ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٤ ، وهى آخر طبعة أخرجها العلامة أحمد أمين بك ، ومنذ ذلك الحين لم يطبع الكتاب بعد وفاته مع شدة الحاجة إليه حتى قيض له الله الدكتور على أحمد راشد فتناوله بالتنقيح والتجديد وساير به آخر تطورات الفقه والقضاء ، فأسدى بذلك خدمة عظيمة لرجال القانون ، فله الشكر الأوفى .

ويعتبر هذا الكتاب من المراجع الخالدة التى يسترشد بها القاضى فى حكمه ، والمحامى فى دفاعه ، والنائب العام فى مرافعته ، والأستاذ فى محاضراته ، كلهم يسألونه الرأى الصائب فيما يستعصى عليهم من مشكلات القانون الجنائى ، وقد استوفى مؤلفه شرح قانون العقوبات من الناحيتين الفقهية والعملية ، وعنى باستعراض النظريات الفقهية لأعلام القانون الجنائى ، وقد ساير آخر تطورات القضاء المصرى ، وهو قضاء غزير المادة دقيق الاستنباط من أحكام الأساتذة الكرام عبد العزيز فهمى باشا ، وسيد مصطفى باشا ، وحامد فهمى باشا ، وكامل مرسى باشا ، ومحمد الجزايرلى [illegible] وأحمد محمد حسن باشا ؛ ولقد حرص الدكتور راشد على المحافظة على أصل الشرح ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، وأشار إلى ما استحدثه من زيادات أو تعديلات وحصرها بين قوسين أو وضع علامة النجمة فى أول كل فقرة جديدة .

والكتاب الذى بين أيدينا هو الجزء الأول فى الجرائم المضرة بالمصلحة العامة ، وقد قسمه إلى خمسة أبواب ، فتكلم فى الباب الأول منه فى جرائم الرشوة ، وفى الباب الثانى فى اختلاس الأموال الأميرية وفى الغدر ، وفى الباب الثالث فى جرائم الصحافة ، وفى الباب الرابع فى المسكوكات الزيوف والمزورة ، وفى الباب الخامس فى جرائم التزوير .

ولقد بحث المؤلف فى تطور التشريع الجنائى المصرى منذ صدور قانون العقوبات سنة ١٨٨٣ ؛ فقانون سنة ١٩٠٤ ، وقانون رقم ٩٨ لسنة ١٩٣١ ، ثم قانون

العقوبات المصري رقم ٥٨ لسنة ١٩٣٧ وما جرى عليه من تعديلات حتى سنة ١٩٤٩ في أسلوب من العربية مبين .

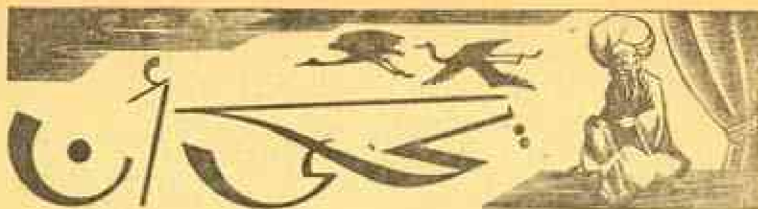
اقرأ معي إن شئت الباب الثالث في الجنح والجنايات التي تقع بواسطة الصحف صفحة ١٠٠ (من الحقوق المعترف بها للأفراد حرية الفكر ، أي أن يكون لكل إنسان الحق في أن يفكر كما يشاء ، وأن يجاهر بفكره ورأيه قولاً وكتابة — هذه الحرية قد كفلتها المادة ١٤ من الدستور المصري الصادر في ١٩ إبريل سنة ١٩٢٣ ، ونصها : « حرية الرأي مكفولة ولكل إنسان الإعراب عن فكره بالقول أو بالكتابة أو بالتصوير أو غير ذلك في حدود القانون » — وحرية الفكر تستتبع حتما حرية الخطابة وحرية الكتابة وفي ضمنها حرية الصحافة ، غير أن هذا الحق مقيد كسائر الحقوق الشخصية ، فلا يجوز استعماله للإضرار بالمصلحة العامة أو بحقوق الأفراد الآخرين . ومن أجل هذا عنيت الحكومات ببيان الحدود التي يباح فيها استعمال هذا الحق ووضعت الجزاءات لمن يتجاوز تلك الحدود . ورقابة الحكومات في هذا الباب تتنوع إلى نوعين : رقابة إدارية يباح بمقتضاها للسلطة الإدارية أن تتدخل عند الحاجة لمنع الضرر وسد ذرائعه ، وأخرى قضائية من مقتضاها إنزال العقاب بمن ينتهك حرمة القانون بمجاوزة الحدود التي رسمها لحرية القول والكتابة . وكانت الحكومة المصرية قد أخذت بالوسيلتين فوضعت في ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٨١ قانون المطبوعات ضمنته أحكاما للطباعة والنشر وأباحت للسلطة الإدارية بمقتضاه أن تراقب تنفيذ أحكامه ، وتعطل الصحف والمطابع التي تخل بتلك الأحكام ، كما نصت في لائحة التياترات الصادرة في سنة ١٩١١ على تخويل السلطة الإدارية حق مراقبة الخطب التي تلقى في المحلات العمومية . وفي ١٦ نوفمبر سنة ١٨٨٣ أصدرت قانون العقوبات وفيه باب مفصل لأحكام الجرائم الصحفية وعقوباتها . وقد بقيت أحكام هذا الباب في قانون العقوبات الصادر في ١٩٠٤ ثم في قانون العقوبات الصادر في سنة ١٩٣٧ بعد أن كانت قد تناولتها تعديلات هامة بمقتضى بعض القوانين التي صدرت قبل ذلك ، وأهمها المرسوم بقانون رقم ٩٧ لسنة ١٩٣١ ؛ غير أن ما كان يخوله قانون المطبوعات الصادر في سنة ١٨٨١ للإدارة من سلطة مطلقة في التعطيل والإلغاء أصبح منسوخا بعد أن نصت المادة ١٥ من الدستور المصري على حرية الصحافة في قولها : « الصحافة حرة في حدود القانون والرقابة على الصحف محظورة وإنذار الصحف أو وقفها أو إلغاؤها بالطريق الإداري محظور كذلك إلا إذا كان ضروريا لوقاية النظام الاجتماعي » وبذلك انحصرت الرقابة الإدارية في نطاق ضيق) .

ثم بعد هذه المقدمة الرائعة يبدأ بشرح مواد قانون العقوبات شرحا وافيا . أرأيت كيف يبدأ المؤلف تمهيده عن حرية القول والكتابة ، ثم يذكر النصوص الخاصة في الدستور المصري المتضمنة حرية الرأي ، ثم يعرج إلى تطور التشريع الجنائي منذ سنة ١٨٨١ حتى هذا التاريخ ، ثم يبدأ بشرح مواد قانون العقوبات ؟ وإني لأقول بكل صراحة أن هذا الكتاب هو أروع كتاب في شرح قانون العقوبات ليس ذلك في اللغة العربية فحسب ، بل في جميع اللغات . وإن الخدمة التي أسداها الدكتور راشد بنشره هذا الكتاب إلى رجال القانون لهي أعظم خدمة ، فيها تخليد لذكرى المؤلف العظيم أحمد أمين بك ، ونفع رجال القانون في العالم العربي . وإني لأرجو من الدكتور راشد أن يبادر بنشر الأجزاء الأخرى . والله ولي التوفيق .

(الموصل — العراق)

ضياء شيت
حاكم صلح الموصل الأول





حب عجيب

لجى دى موبسان

ترجمة الأستاذ أحمد بدران

كان ذلك في نهاية مأدبة الغداء التي أقامها المركيز دى برتان تحية لبدء موسم الصيد، وقد جلس أحد عشر رجلاً رياضياً وثماني سيدات شابات حول مائدة فاخرة الضياء، حفلت بالفاكهة والأزهار. وقد اتجه الحديث إلى الحب، وقامت مناقشة حادة حول ذلك السؤال الخالد — هل يستطيع الإنسان أن يحب مرات عدة أو أن الحب لا يكون إلا مرة واحدة؟ ».

وقد ضربت الأمثال بأناس لم يحبوا إلا مرة واحدة، وبآخرين أحبوا مرات كثيرة حباً عنيفاً، وقد أكد الرجال بوجه عام أن هذه العاطفة كالمرض قد تصيب نفس الشخص مرة ومرة، وقد تكون قاتلة لو وقف في سبيلها عائق. أما السيدات وقد حاولن نقض هذا الرأي، فقد أكدن أن الحب، الحب الحقيقي، حب الفداء والتضحية لا يأتي إلا مرة واحدة، وأن هذا الحب كالصاعقة، والقلب الذي أصابه مرة قد صار بعد ذلك إلى الأبد خرباً محطماً لا تستطيع جذور أي عاطفة — ولا العابرة — أن تنمو فيه.

وقد عارض المركيز — وله ماض حافل — هذا الرأي وقال: «إني أؤكد لكم أن الإنسان يستطيع أن يحب المرة بعد المرة بكل قواه وبكل روحه. لقد ذكرت السيدات أناساً استشهدوا في سبيل الحب كدليل على استحالة حب ثان، بيد أن ردي على ذلك أن هؤلاء لو لم يتحروا من الحماقة إلى حد أن يقتلوا أنفسهم — وهذا يحرمهم من أي فرصة [illegible] — لشفوا من الصدمة الأولى، ولأحبوا مرة أخرى، ومرة إلى آخر أيامهم. إن المحبين كالسكارى، من يذوق الخمرة [illegible] سلافها، ومن أحب مرة سيعاود [illegible] الحب [illegible]».

وكانت المشكلة بعد ذلك للطبيب الذي اعتزل في الريف بعد أن مارس المهنة في باريس، وقد طلبوا منه أن يدلي برأيه، بيد أنه لم يكن لديه حكم قاطع، فقد قال: «إنها مسألة طباع، كما قال المركيز، لكني أعرف حباً استمر خمسة وخمسين عاماً لم يفتر يوماً واحداً ولم ينقض إلا بالموت».
وصفقت المركيزة بيديها وقالت: «يا للجمال! إنه لحلم جميل هذا الحب! ما أسعد أن تعيش الواحدة خمسة وخمسين عاماً في هذه العاطفة القوية الطاغية، وما أسعد ذلك الرجل وما أشد رضاه بالحياة حين تتمتع بمثل هذا التقدير»!
فابتسم الطبيب وقال: «أنت محقة في شيء واحد يا سيدتي، إن هذا الحب كان لرجل، وإنك تعرفينه فهو المسيو شوكيت الصيدلي. وأنت تعرفين من أحبته أيضاً، هي العجوز التي كانت تصلح الكراسي وتأتي هنا كل عام، لكني سأقص القصة بالتفصيل».

وأصيب حماس السيدات بهبوط مفاجئ، وبدت علامات

الحياة على وجوههن ، كأنما يجب أن يقتصر الحب على ذوى الجاه والثراء ليكونوا أحق به منهن . وتابع الطبيب حديثه : « منذ ثلاثة أشهر دعيت إلى جانب فراش هذه المرأة العجوز وهى تحتضر ، كانت قد جاءت هنا فى اليوم السابق فى العربة التى كانت تتخذها مقاماً ، والتى يجرها ذلك الجواد الهزيل الذى لا ريب أنكم كلكم رأيتموه ، وكان معها كلباها الضخمان الأسودان ، صديقاها وحارساها . وقد أوصتنا — أنا والقسيس — منفذين لوصيتها ، ولكى تجعل رغبتها الأخيرة واضحة لدينا قصت علينا كل قصة حياتها التى لم أسمع أعجب منها ولا أغرب .

كان أبوها وأمها يصلحان الكراسى ، ولم تعش قط فى منزل مستقر ، فقد كانت تتجول دائماً فى ثياب رثة قذرة ، وكانت أسرتها تعسكر فى ضواحى القرى على جانب الطريق ، فتخرج الحصان وتدعه يرعى طليقاً ، ويلعب الكلب لينام ، أما الفتاة فتتقلب على العشب بينما يعمل والداها تحت ظل أشجار الطريق يصلحان الكراسى ، فإذا ابتعدت الطفلة صاح أبوها فى غضب : « تعالى هنا أيتها الشقية » ، وكانت هذه كل كلمات الحنان التى تسمعها . ولما كبرت صارت تذهب لجمع الكراسى من القرية صائحة صيحتها التقليدية : « كراسى للتصليح » وفى جولتها بدأت تتعرف إلى الأطفال ، لكن آباء هؤلاء الأصدقاء الجدد هم الذين ينادون الآن على أولادهم أن تعالوا هنا ، لا نحب أن نراكم تتحدثون إلى الشحاذين .

وذات يوم ، وكانت فى الحادية عشرة ، جاءت الأسرة إلى هذه القرية حيث رأت الفتاة شوكيت الصغير ، وكان يبكى لأن زميلاً سلبه بنسين ، وأثرت فى الفتاة دموع الفتى تأثيراً كبيراً ، فقد كانت تحسب أن مثله من الأطفال هم دائماً سعداء ، فتقدمت إليه ، ولما علمت سر بكائه ألقت بين يديه بكل ما ادخرته ، سبعة سنتات ، فأخذها كأنها حق طبيعى ومسح دموعه ، وكانت هذه فرحتها الكبرى ، حتى لقد تجرأت على تقبيله ، ولما كان مأخوذاً فى سروره بالنقود فإنه لم يقاوم ، فلما رأت أنه لم يبعدها عنه أو يضربها ، ألقت ذراعيها حوله وقبلته مرة أخرى ، ثم جرت مبتعدة . ماذا كان يدور فى هذا الرأس الصغير المسكين ؟ أية رابطة تلك التى ربطتها بهذا الطفل ؟ أهى تضحيتها له بكل ثروتها الصغيرة أم منحها إياه قبلتها الأولى ؟ إن المأساة متشابهة فى الصغار كما فى الكبار .

وظلت شهوراً تحلم بهذا الركن ، وبهذا الصبى . وعلى أمل أن تراه مرة أخرى كانت تسرق من أبويها وتبقى معها بعض ما تعطى من أجر الإصلاح أو شراء الطعام .

ولما جاءت فى المرة الثانية كان فى جيبها فرنكان ، لكنها لم تر الصبى إلا لمحة خاطفة ، فقد كان يبدو عليه السقم والمرض وهى تنظر إليه من شباك صيدلية أبيه ، فازدادت له حباً ولم تفارق ذكراه خاطرها . وفى العام التالى لما رأته خلف جدار المدرسة وهو يلهو مع بعض زملائه ، اندفعت نحوه ، واحتوته بين ذراعيها ، وقبلته فى وحشية ، حتى إنه بكى من الرعب ، ولتهدئ من روعه أعطته كل ما معها من النقود ثلاثة فرنكات حملق فيها مبهوتاً ، وقبل النقود وسمح لها بأن تقبله كما تشاء .

وفى السنوات الأربع التالية كانت تضع بين يديه كل ما تدخره ، فيأخذه مقدراً القبلات عوضاً عادلاً ، وكان يحتل كل تفكيرها . أما هو فكان أيضاً ينتظر مجيئها فى فروغ صبر ، ويجرى نحوها إذا ما رآها ، فيخفق قلبها بالسعادة ، ولكنه اختفى بعد ذلك ، فقد أرسل إلى المدرسة كما علمت بعد تحريات دقيقة ، وقد حاولت أن تغرى والديها بتغيير نظام جولتهما حتى تتفق زيارتهم والعطلات ، وأخيراً نجحت فى ذلك ولكن ذلك كلفها عاماً كاملاً ، ولهذا مضت سنتان على رؤيتها إياه آخر مرة ، ولم تكد تعرفه ، فقد تغير كثيراً ، لقد نما وأصبح منظره أكثر بهاء فى سترته ذات الأزرار الذهبية ، وتظاهر بأنه لم يرها ومر بجانبها رافع الرأس ، فبكت يومين ، وكان هذا بداية آلامها التى لم تنته قط ، ففى كل عام كانت تعود ، فتراه فى الطريق دون أن تجرؤ على تحيته ، ولم يكن يمنحها نظرة . لقد أحبته حباً عنيفاً . قالت لى : يا دكتور إنه الرجل الوحيد الذى عرفته فى العالم كله .

ولما مات والداها خلفت عملهما ، وأصبح لها الآن كلبان بدل واحد ، وحشان عنيفان لا يجرؤ أحد على الاقتراب منهما . وذات مرة لما قدمت إلى القرية التى خلفت فيها قلبها

رأت سيدة غنية خارجة من الصيدلية ، وهي تستند إلى ذراع شوكت ، وكانت زوجته .

في ذلك المساء ألقت نفسها في المستنقع القريب ، وأخرجها أحد المارة ، وحملها إلى الصيدلية . وجاء شوكت الشاب ليعنى بها فخلع ثيابها دون أن يبدو عليه أنه يعرفها ، وجفف جسمها ، وقال في قسوة : « لابد أنك جننت . أي سخف اقترفت ! » ورفض أن يأخذ أجراً على خدمته رغم أنها أصرت على أن تدفع له .

وهكذا انقضت حياتها . كانت تخلي مضلع الكراسي وتفكر طيلة الوقت في شوكت ، وكانت تراه كل عام من نافذة الصيدلية ، وتعودت أن تشتري منه الكثير من الأدوية الشائعة لكي تراه عن قرب وتتحدث إليه وتقدم إليه النقود كما كانت تفعل من قبل .

وكما سبق أن قلت لكم ، لقد ماتت هذا الربيع ، وبعد أن قصت هذه القصة المؤثرة سألتني أن أحمل إلى الرجل الذي أحبته في إخلاص كل ما ادخرته طيلة حياتها . لقد عملت من أجله وحده ، بل جاعت [illegible] حتى تضمن في الأقل أن يذكرها بعد موتها ، [illegible] ألفين وثلاثمائة وسبعة وعشرين فرنكاً ، [illegible] السبعة والعشرين فرنكاً لنفقات الدفن ، واحتفظت بالباقي حتى لفظت آخر أنفاسها .

وفي اليوم التالي ذهبت إلى شوكت ، وكان يجلس وزوجته وقد أوشكا على الانتهاء من تناول العشاء ، ودعيت إلى الجلوس ، وقدما لي شراباً قبلته ، ثم في صوت يختلج بالتأثر بدأت أقص عليهما القصة وأنا أتوقع أن تنهمر دموعهما ! لكنه ما كاد يعلم أنه قد أحبته هذه الشحاذة التي تصلح الكراسي حتى قفز من مقعده في غضب كما لو كنت قد سلبته شرفه وسمعته الطيبة وسمو مركزه . وقالت زوجته في اشمئزاز : « تلك المرأة الشحاذة العجوز ... أي سخرية ! » وكان شوكت يدور حول المائدة ثم صاح في غضب : « هل سمعت بمثل هذا من قبل يا دكتور ؟ يا للبشاعة ! ماذا أستطيع أن أفعل ؟ لو عرفت هذا وهي على قيد الحياة لسقتها إلى السجن الذي تستحقه ! » .

وسخطت لهذه النتيجة ، لكن كان علي أن أتم مهمتي فاستطردت أقول : « لقد كلفتني أن أقدم إليك ثروتها البالغة ألفين وثلاثمائة فرنك ، لكن بما أن القصة التي قصصتها عليكم قد أغضبتكم إلى هذا الحد ، فربما كان من الأفضل أن أقدم هذا المال للفقراء » .

فحملقا فيّ ، وقد أفقدتهما الدهشة المتحيرة على النطق ، وأخرجت المال من جيوبي مجموعة مختلفة من النقود الصغيرة والكبيرة ، النحاسية والذهبية ، وسألتهما : « ما رأيكما ؟ » .

وكانت مدام شوكت هي البادئة بالكلام فقالت : « حسناً ... بما أنها رغبة المرأة الأخيرة فإننا لا نستطيع رفض ما قدمت » وأضاف زوجها : « نستطيع أن ننفقها على الصغار » وقلت بجفاء : « كما تشاءان » وأجاب شوكت : « ما دامت طلبت منك ذلك ، فالأفضل أن تسلم المال إلينا ، وسنجد ما يستحق أن ننفقه فيه » وسلمت إليهما المال وانصرفت . وفي اليوم التالي جاءني شوكت وقال : « أرى أن المرأة قد تركت عربتها هنا ... فماذا أنت فاعل بها ؟ » قلت : « لا شيء ، خذها » قال : « أحتاج إليها سقيفة [illegible] » وتحرك إذ هم بالانصراف وقلت : « لقد تركت أيضاً حماريها العجوز وكلبيها فهل تريدهما ؟ » فتوقف مندهشاً وقال : « كلا ... وما ترى أفعل بهما ؟ اصنع بهما ما تشاء » .

وضحك ، وصافحنا ... ففي الريف يجب أن يبدو الطبيب والصيدلي في وئام مهما حدث . وأبقيت الكلبين ، وأخذ القس الحصان ، أما العربة فأخذها شوكت ، والنقود اشترى خمسة أسهم في شركة السكك الحديدية .

تلك سيداتي وسادتي قصة الحب الحقيقي الوحيد الذي أعرفه .

وصمت الدكتور ، وقالت الماركيزة وقد اغرورقت عيناها بالدموع :

« هذا يثبت قولي ... المرأة وحدها هي التي تعرف الحب » .

أحمد عبد الله